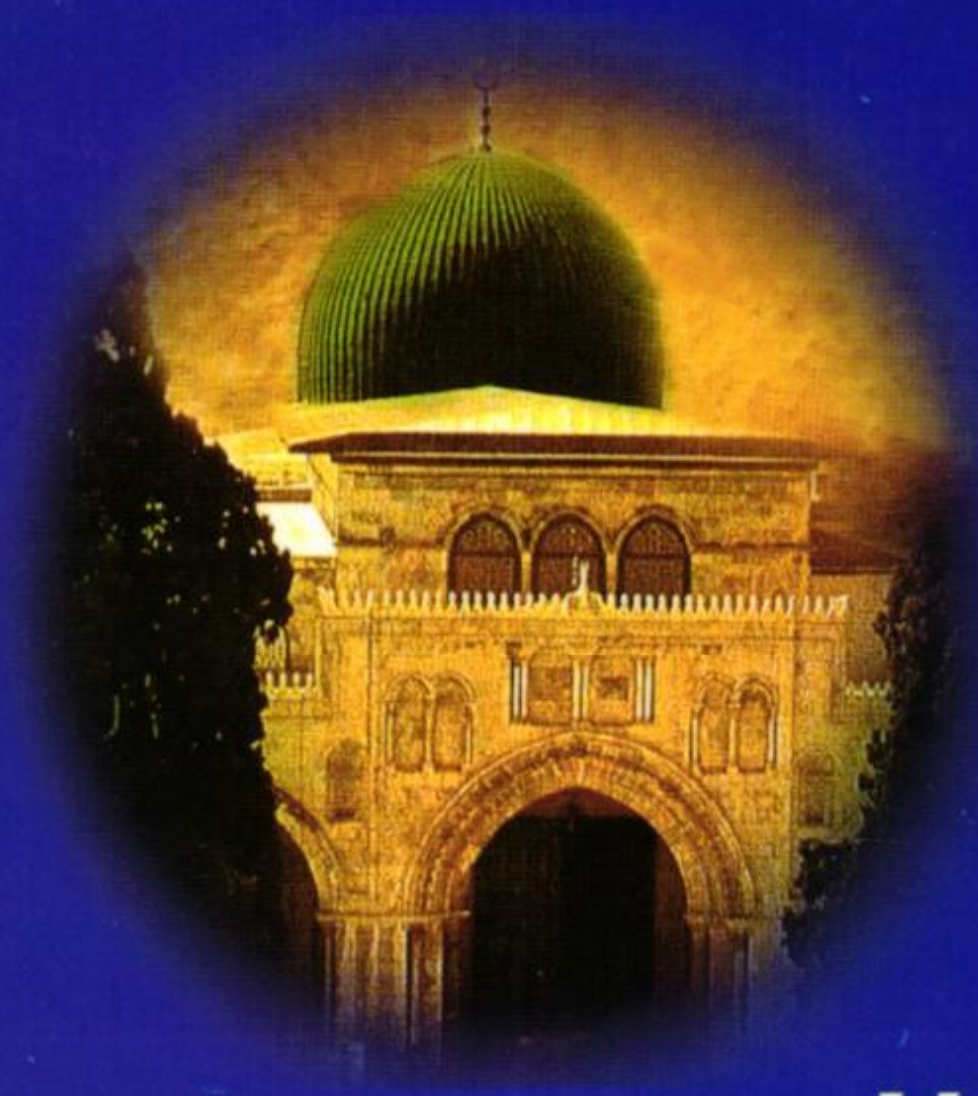

القدس

في القلب والذاكرة

الإصدار الأول

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
قطاع الشئون الثقافية

سلسلة إصدارات مجلة الوعي الإسلامي
١٤٢٢ هـ ٢٠٠١ م

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية

القدس في القلب والذاكرة

هدية مجلة الوعي الإسلامي
١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م

دولة الكويت
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
قطاع الثقافة الإسلامية

الوعي الإسلامي مجلة إسلامية شهرية جامعة
تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

الكويت ص.ب : ٢٣٦٦٧ - الصفاة
الرمز البريدي 13097 - الكويت
هاتف : ٨٤٤٠٤٤ (٩٦٥+)
فاكس : ٥٣٤٨٩٥٤ (٩٦٥+)
e.mail: alwaei@awkaf.net
Homepage: www.awkaf.net/alwaei

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

استأثرت القدس الشريف باهتمام المسلمين منذ العصور الأولى للفتح الإسلامي ، نظراً لمكانتها الدينية التي أشار إليها القرآن الكريم في أكثر من آية ، وأكدتها السنَّة النبوية الشريفة في عدد غير قليل من الأحاديث والأقوال المأثورة .

وأولت دولة الكويت اهتماماً خاصاً بقضية القدس وبالقضية الفلسطينية منذ بدايتها ، وقدَّمت لها كل العون المادي والمعنوي في سبيل إحقاق الحق ، والحفاظ على هوية وقدسية الأماكن الإسلامية التي تمثل أهمية خاصة لجميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها .

وأسهمت مجلة الوعي الإسلامي منذ صدور أعدادها الأولى في طرح قضية القدس الشريف على صفحاتها ، وتفنيد الادعاءات اليهودية الكاذبة ، وفضح أساليب وممارسات اليهود في الأراضي الفلسطينية بعامة ، وفي القدس الشريف بخاصة .

ونشرت الوعي الإسلامي خلال سنواتها الطويلة الكثير من المقالات والدراسات والتحقيقات بأقلام كبار المفكرين والكتَّاب من مختلف بقاع العالم الإسلامي التي تدور حول أهمية القدس ، وحق المسلمين المشروع في فلسطين والحرم القدسي الشريف . . . في محاولة للوقوف في وجه الهجمات اليهودية الشرسة والمحاولات الوقحة لتهويد المدينة .

ونظراً لما تمر به هذه المدينة المقدسة من مشكلات لطمس معالمها الإسلامية ، فقد حرصنا في مجلة الوعي الإسلامي على إصدار هذا

الكتيب الذي يحتوي على مقالات وموضوعات مختارة مما نشر سابقاً ، حول القدس وأهميتها ، ومكانتها التاريخية في نفوس المسلمين ، ويأتي ذلك من منطلق حرص دولة الكويت على الحق الإسلامي والعربي في القدس الشريف .

والحقيقة أن هذا الاختيار لا يقلل من شأن غيرها مما تم نشره في المجلة ولم يرد في هذا الكتاب ، ولقد عاق عدد صفحات الكتاب المحدودة دون نشر الجميع . فخالص شكرنا للعلماء الذين ساهموا في معالجة قضية القدس جرح المسلمين النازف بنتاجهم الفكري والعلمي والأدبي والتاريخي ، أعاد الله إلى الإسلام والمسلمين قدسهم عزيزاً كريماً . . . إنه سميع مجيب .

عبدالعزيز بدر القناعي

وكيل الوزارة المساعد للشؤون الثقافية

القدس ... في القلب والذاكرة

بسم الله نبدأ ، وعلى بركته نسير ، (القدس ، في القلب والذاكرة) باكورة سلسلة الاصدارات الدورية التي تنوي إدارة مجلة الوعي الاسلامي إصدارها خلال خطتها المستقبلية لتأصيل وترسيخ الفكر الاسلامي الصحيح وتوعية المسلمين بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية والفكرية والدفاع عن قضايا المسلمين العادلة وقد اختارت المجلة قضية القدس لتكون عنوان إصدارها الأول على اعتبار أن هذه القضية تعتبر قضية المسلمين الأولى والدفاع عنها واجب على جميع المسلمين فالكل مطالب بالوقوف الى جانب هذه القضية سواء كان فردا او هيئة او مؤسسة اعلامية او غيرها. وبهذه المناسبة تدعو إدارة المجلة أصحاب الأقلام الحرة المخلصة إلى تقديم اقتراحاتهم وارائهم المتضمنة أهم المواضيع والقضايا التي يمكن لادارة المجلة الاسترشاد بها في الاصدارات القادمة ان شاء الله تعالى وبذلك نسهم معا في دفع مسيرة المجلة وتطوير دورها الفكري وتوسيع آفاق العلم والمعرفة، ولا يفوتني في هذه العجالة إلا أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية التي قدمت لنا كل التسهيلات من أجل إخراج هذا المشروع إلى حيز التنفيذ ، اسهاما منها في نشر الفكر الاسلامي في مشارق الارض ومضاربها ، وابرازا لوجه الكويت الفكري والثقافي والحضاري ، خصوصا وأن الكويت اختيرت هذا العام لتكون عاصمة الثقافة العربية ، والله من وراء القصد .

رئيس التحرير

جاسم محمد مطر شهاب

«عروس المدائن»

ترزح تحت «تهويد» لا مثيل له في تاريخها (*)

عبدالرحمن سعد

«أم المدائن . . . زهرة المدائن . . . عروس المدائن . . . مدينة المدائن» : مسميات أُطلقت كلها على «القدس» لتؤكد ـ بما لا يدع مجالاً للشك ـ الأهمية البالغة لهذه المدينة التي عاش في كنفها الأنبياء والرسل ، ونعم أهلها من المسلمين وأتباع العقائد الأخرى ـ بالأمن والرخاء قرابة ثلاثة عشر قرناً تحت الحكم الإسلامي الرشيد .

القدس هي إحدى حقائق الإسلام الكبرى ، فقد شهدت اكتمال حلقات التوحيد ، إذ اتجه المسلمون في صلاتهم إليها ستة عشر أو سبعة عشر شهراً في مرحلة بدء الوحي ، ثم أُسري إليها بالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فصلّى بالأنبياء هناك ، ودعا المسلمين إلى شدِّ الرحال إلى مسجدها المقدس الشريف .

ومن رَحم القدس يمتد حبل الخلاص ـ إن صح التعبير ـ لمشكلاتنا كلها باعتبارها الفيصل دائماً في كل مواجهاتنا ـ نحن المسلمين ـ مع أعدائنا على مر العصور ، لكن القدس مهددة الآن بما لم تُهدَّد به طوال تاريخها على الإطلاق ، فقد احتل اليهود الجزء الغربي منها في العام ١٩٤٨م ، ثم أكملوا السيطرة عليها في العام ١٩٦٧م ، لتواجه بذلك القدس أكبر خطر في حياتها ، وهو خطر «التهويد» ، إذ استخدم اليهود الغزاة إجراءات قسرية بشعة ، في محاولة لتهويد بقاعها ، وإزالة معالمها الإسلامية ، وطرد العرب المسلمين منها ، بل تهديد مسجدها الأقصى

المبارك ، بالحفريات حوله وتحته ، وانتهاك قدسيته وحرمته ، بدعوى البحث عن الهيكل المزعوم للنبي سليمان ـ عليه السلام ـ ، وهذه الأمور مازالت مستمرة ، ومتزايدة في ضراوتها ، خصوصاً في ظل الحكومات الصهيونية المتعاقبة .

هذا الملف مجرد قطعة صغيرة في قالب كبير ، وهو يستعرض القضية من زواياها المختلفة ، ويتتبع تاريخها ، وحاضرها ، ومستقبلها ، الأمر الذي يجعلنا نتساءل : على أي شيء سيتفاوض المتفاوضون والواقع العملي يقول : إن القدس توشك أن تتهوَّد ، وأن تضيع من أيدي العرب والمسلمين الذين لن يجدوا سوى الفتات منها لكي يتفاوضوا بشأنه؟ !

في البدء نستعرض ما آلت إليه المدينة في ظل مخططات «تهويدها» التي استهدفها الاحتلال الصهيوني من خلال أساليب عدة منها : «**محو الخصائص والملامح الإسلامية العربية للمدينة ، وخلخلة الكثافة السكانية العربية ، وعزلها عن محيطها العربي ، مع تكثيف وجود المستوطنين اليهود ، بحيث تصبح لهم الأغلبية المطلقة**»(١) وأخيراً : إقامة احتفالات ومهرجانات بمرور ما يُزعم أنه ثلاثة آلاف عام على تأسيس القدس عاصمة لليهود على يد الملك داود . !

مصادرة الأراضي

بالنسبة لمحو الخصائص الإسلامية العربية للمدينة : بذل اليهود جهودهم للسيطرة على أكبر قدر من الأراضي العربية ، فاستولوا على أراضي الأملاك العامة ، وصادروا كثيراً من الأملاك الخاصة ، وفرضوا إرادة المحتل على المدينة ، بخلق أمر واقع غير قابل للتغيير من خلال إقامة

الكثير من المستوطنات ، التي تشكل مبانيها المقامة على شكل قلاع ـ على رؤوس الجبال ـ أحزمة ، وأطواقاً تتيح رقعتها التوسع الدائم لصالح اليهود ، كما تحاصر في الوقت نفسه المواطنين العرب ، وتقضي على أي فرصة أمامهم للتوسع العمراني ! .

كذلك سنت سلطات الاحتلال القوانين الخاصة بمدينة القدس ، واعتبرتها جزءاً من أراضيها ، واتخذت إجراءات كثيرة لتغيير الطابع السياسي ، والديني ، والثقافي للمدينة ، وكان أخطر تلك القرارات ذلك القرار الذي أصدره الكنيست الإسرائيلي في يوليو العام ١٩٨٠م باعتبار مدينتي : القدس الشرقية والقدس الغربية «عاصمة موحدة وأبدية لدولة إسرائيل» ! وهو القرار الذي أكده الكنيست مرة أخرى بقرار صدر في العاشر من مايو العام ١٩٩٤م زعم فيه أن «مدينة القدس ستبقى موحدة إلى الأبد تحت سيادة إسرائيل» !

وبهدف إضفاء الطابع اليهودي على المدينة ، لجأت سلطات الاحتلال إلى مصادرة عشرات الآلاف من الدونمات لأراض تخص المواطنين العرب في داخل المدينة القديمة من مدينة القدس وما حولها .

كما لجأت هذه السلطات إلى إقامة أحياء سكنية صهيونية في داخل المدينة القديمة منها مع إقامة عشرات المستوطنات حولها ، من الجهات : الجنوبية والشرقية والشمالية حتى تحاصر المدينة ، وتعزلها عن سائر مناطق فلسطين ! .

سلطات الاحتلال لجأت أيضاً إلى حرمان السكان العرب من رخص البناء بالمدينة المقدَّسة ، لأن الذي يدير المدينة مجلس بلدي إسرائيلي ، والإجراءات التي اتخذتها السلطات الصهيونية غيَّرت النسبة

السكانية لليهود في البلدة القديمة «أي القدس الشرقية» ، فالقدس الموحدة بشطريها الشرقي والغربي تراجعت فيها نسبة المواطنين العرب لتصبح الأغلبية لليهود ! .

ومنذ الأيام الأولى لعام ١٩٩٥م «كشفت الدولة اليهودية النقاب عن قرارها بمصادرة أكثر من ٥٣ هكتاراً (نحو ١٣١ فداناً) من الأراضي التي يملكها فلسطينيون في القدس الشرقية بهدف بناء مجمع إسكاني لليهود ، ومركز للشرطة ، وكانت تلك المرة الأولى منذ العام ١٩٦٧م التي تعلن فيها الحكومة الصهيونية أنها تصادر أراض فلسطينية من أجل إنشاء أحياء سكنية يهودية ، في حين كانت في السابق تعلل مصادرتها بأنها لأغراض عامة أو أمنية» .(٢)

أثار قرار المصادرة دوياً كبيراً في العالم العربي والإسلامي ، وتبنى مجلس الأمن قراراً معتدلاً جداً في لغته ، وصياغته ، دان القرار الصهيوني ؛ لكن الولايات المتحدة استخدمت حق «الفيتو» في (١٧ مايو ١٩٩٥م) لقتل القرار الذي نال موافقة الدول الأعضاء الدائمة وغير الدائمة بالمجلس ! وعندها استشعرت الدول العربية أهمية عقد قمة عربية محدودة لمناقشة أبعاد قرار المصادرة الإسرائيلية للأراضي الفلسطينية ، واتخاذ موقف محدد تجاهه ، وتم تحديد موعد لقمة عربية كانت في المغرب في أواخر مايو ١٩٩٥م إلا أن تراجع الحكومة الصهيونية عن تنفيذ قرار المصادرة ، وتعليقه أو تجميده في (٢٤ مايو ١٩٩٥م) أدى إلى تعليق عقد القمة العربية .

التهجير . . . والحصار!

من أهم الإجراءات التي اتخذتها الدولة اليهودية في هذا الصدد قيامها بتهجير أكبر عدد ممكن من السكان العرب من القدس «المدينة

المقدسة» إلى خارج حدودها بطرق متباينة ، إضافة إلى فرض الضرائب المرتفعة والمتنوعة على السكان العرب في المدينة لتعجيزهم اقتصادياً مع فرض حصار عسكري على المدينة المقدسة ، ومنع المسلمين ـ من جميع أنحاء فلسطين ـ من الوصول إليها ، وحرمانهم من الصلاة في مسجدها الأقصى المبارك ، وبخاصة في شهر رمضان المبارك ! .

الاحتشاد اليهودي في القدس ـ كما يؤكد الكاتب فهمي هويدي ـ أدى بقوة الطرد إلى إبعاد العرب عنها ـ مسلمين ومسيحيين ـ(٤) ويستشهد هويدي بدراسة نشرتها الكاتبة الأميركية «جريس هالسيل» التي زارت الأراضي الفلسطينية المحتلة للتعرف على أوضاع شعبها ، والمسيحيين منهم بوجه أخص . . . وذكرت فيها ما نصه : «لم يبق في أرض المسيحية سوى أربعين ألفاً من المسيحيين ، وقبل نصف قرن من الزمان كان عدد سكان مدينة القدس (١٣٥ ألفاً) ، كما أن سكان بيت لحم ، قد تناقصوا ، حتى أصبح بإمكان طائرتي جامبو أن تنقلهم جميعاً (أي أنهم أصبحوا نحو ألف شخص !) وصاروا في بيت لحم مجرد ١٠٪ من مجموع سكانها الأصليين (مجلة لينك الأميركية ـ عدد أول أبريل ٩٥) .

تطهير عرقي يهودي

حملة التهويد هذه ـ فيما يراه هويدي ـ سكانياً ، وعمرانياً ، «لا تنتهك ميثاق الأمم المتحدة ، وقرارات مجلس الأمن فقط ، ولا تنتهك ميثاق حقوق الإنسان بدورها فقط من حيث إنها تحرم أصحاب الأرض من حق الحياة فيها ، ولكنها تعد نوعاً من «التطهير العرقى» التدريجي الذي يستبعد المسلمين والمسيحيين بأساليب غاية في الخبث والدهاء ، ولكي تستصفي المدينة لصالح اليهود في نهاية المطاف» .(٥)

ومن شأن ذلك أن يحوِّل المدينة من واقع متعدد الثقافات استقر عبر قرون تحت الحكم الإسلامي إلى واقع يهودي في الأساس يسيطر فيه الكيان الصهيوني على السيادة دون منازع ، الأمر الذي يفقد المدينة المقدسة أحد أهم أرصدتها التاريخية ، والحضارية .

تهويد المسجد الأقصى

وفي إطار التهويد المستمر ، يخطط الكيان الصهيوني لتهويد المسجد الأقصى ، وذلك «**عبر اتجاهين : أولهما** : الحفريات حول حرم المسجد ، وهي حفريات بدأت منذ وقت مبكر من الاحتلال ، ولا تزال مستمرة ، وقد مرت بكثير من المراحل بالإضافة إلى الحفريات في أسفل العقارات الوقفية الأثرية التي تلاصق السور الخارجي للمسجد الأقصى المبارك من الجهتين الغربية والشمالية ، تقوم بها السلطات الصهيونية المحتلة منذ العام ١٩٦٧م ، وحتى الآن ، بدعوى البحث عن هيكل سليمان المزعوم ، والتنقيب عن آثار عبرية لإثبات وجود لهم في هذه الديار إلا أنهم لم يعثروا على شيء»(٦) .

أما الاتجاه الثاني لتهويد المسجد الأقصى : فهو الاتجاه غير الرسمي الذي أخذ شكلاً متنامياً منذ الاحتلال وحتى الآن ، وتتزعمه الجماعات اليهودية ذات العقيدة المتطرفة التي تتزايد ، ويتزايد معها تأثيرها على مراكز اتخاذ القرار في الكيان الصهيوني ، حتى إنها أصبحت تشغل ربع عدد المقاعد ـ أو أكثر ـ في الكنيست الصهيوني الحالي ، وما قبله .

هذه الجماعات بذلت ـ ومازالت تبذل ـ محاولات متكررة لإقامة صلواتها في ساحة المسجد المبارك ، بدعوى كاذبة : هي أن هيكل سليمان ـ ـ عليه السلام ـ ـ يقع أسفل المسجد مباشرة ! .

وليس خافياً أن إسرائيل تقوم منذ فترة طويلة بالترويج لمشروع كبير لبناء هيكل سليمان بعد إزالة قبة الصخرة المشرَّفة ، كما يُوجد «ماكيت مجسَّم» لذلك معروض في أحد المتاحف الإسرائيلية ! .

ولتأكيد هيمنتها على مدينة القدس ، وإتمام تهويدها ، تلجأ السلطات الصهيونية إلى شتى الأساليب ـ فضلاً عن المحو المنظَّم للامح المدينة العربية ـ سواء كانت أساليب إعلامية أو ثقافية ، وذلك «كما حدث فى تنظيمها مهرجان «القدس ٣٠٠٠» لتتويج المرحلة النهائية لتهويد المدينة المقدسة بزعم مرور ثلاثة آلاف عام على اتخاذ الملك داود مدينة القدس عاصمة للمملكة اليهودية العام ٩٩٦ قبل الميلاد»(٧) ، وقد استمر هذا المهرجان ١٥ شهراً بدءاً من سبتمبر ١٩٩٥م وحتى مطلع العام ١٩٩٧ ! .

هذه المزاعم مجافية لحقائق التاريخ ، لأن حقبة المملكة اليهودية لم تستمر سوى ٧٧ سنة فقط ، وهذه برهة زمن عابرة من تاريخ طويل ، ومتصل ، تعرضت فيه المدينة لغزو الغزاة أكثر من ٤٠ مرة فضلاً عن أن العرب عاصروا من أحداثها وتاريخها القديم ، والوسيط ، والحديث ، ما لم تعاصره أمة أو طائفة أخرى .

فالهدف الصهيوني من هذه المزاعم ، والاحتفالات ، والتجييش الإعلامي والثقافي ، والتعبئة السياسية والاقتصادية ، واضح ، وهو استدراج الرأي العام العالمي للاعتراف الرسمي والواقعي بالقدس الموحدة عاصمة أبدية لإسرائيل .

جزء من العقيدة

هذا ما بذله ـ ويبذله ـ اليهود لإحكام الحصار على مدينة القدس ،

وتهويدها تماماً ، وهذا ما أنفقوه من اقتصادهم ، وأعلنوه ـ ويعلنونه دوماً ـ على مسمع من العالم ، من حقوق زائفة في المدينة . . **فأين المسلمون من كل ذلك؟ وأين جهودهم وإنفاقهم لاسترداد مدينتهم المقدَّسة ، والإعلام بحقوقهم بها ، والإقناع العالمي بذلك فضلاً عن تحريرها ، ووقف مخططات تهويدها ، وانتزاعها من جسدها العربي الإسلامي؟**

«إن المسلم لا يملك إلا أن يهتم ببيت المقدس ، ذلك أن الاهتمام ببيت المقدس جزء من عقيدة المسلم ، فبيت المقدس يكوّن جزءاً من فلسطين وسورية ، وهي الأرض التي بُورك فيها للعالمين ، يقول ربنا ـ سبحانه وتعالى ـ (ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين) الأنبياء : ٧١ .(٨)

ففي بيت المقدس وضع آدم ـ أبو البشر ـ ـ عليه السلام ـ ـ أساس المجسد الأقصى بعد بناء المسجد الحرام بأربعين سنة ، كما أخبر بذلك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن أبي ذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ قال : سألت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن أول مسجد وُضع على الأرض؟ قال : «المسجد الحرام» ، قلت : ثم أي؟ قال : «المسجد الأقصى» . قلت : كم بينهما؟ قال : «أربعون عاماً» . (فتح الباري ج٦ حديث ٣٣٦٦) .

إن المسجد الأقصى هو أحد المساجد الثلاثة التي لا تُشدُّ الرحال إلا إليها ، كما أخبر بذلك خاتم الأنبياء والمرسلين ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فقد روى البخاري في كتاب : «**فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة**» . قال : «لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمسجد الأقصى» .

إن اهتمامنا ـ نحن المسلمين ـ ببيت المقدس ـ إذاً ـ هو جزء من عقيدتنا الإسلامية ، ذلك أن بيت المقدس هي الأرض التي جعلها الله لعباده الصالحين ، يقول تعالى : (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذّكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) الأنبياء :١٠٥ .

جزء من الدولة الإسلامية

بيت المقدس شكَّل دوماً جزءاً من الدولة الإسلامية سواء على عهد آدم ـ عليه السلام ـ أو على عهد إبراهيم ، أو داود ، أو سليمان ، أو غيرهم من الأنبياء ، والرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ كما قال تعالى : (وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً) البقرة :١٢٤ ، «أي أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ كانت له الإمامة للمسلمين على أرض الأقصى وحرم الله الآمن بمكة» . وقال تعالى : (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق) سورة ص :٢٦ «أي أن داود ـ عليه السلام ـ كان خليفة في الأرض على دولة إسلامية كانت عاصمتها بيت المقدس» .(٩)

أرض الأنبياء والمحشر

بيت المقدس وما حولها ـ كذلك ـ هاجر إليها إبراهيم ولوط ـ عليهما السلام ـ ليحملا رسالة الإسلام إلى تلك البقاع ، وعلى أرضها وُلِدَ ويُبعث أنبياء ورسل كرام منهم : إسماعيل ، وإسحاق ، ويعقوب ، ويَوسف ـ عليهم السلام ـ ، وفي تلك البقعة المباركة كان الوحي الكريم يتنزل حاملاً رسالة الإسلام من الله تعالى إلى هؤلاء الرسل الكرام .

وبيت المقدس وما حولها ـ إضافة إلى ما سبق ـ هي أرض المحشر والمنشر كما أخبر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وأهلها مرابطون ،

ومجاهدون إلى يوم القيامة ، وعلى هذه الأرض المباركة سينزل المسيح ـ ـ عليه السلام ـ في آخر الزمان ، كما أنها مثوى أجساد طاهرة ، منها جسد إبراهيم ، وأجساد يعقوب ، ويوسف ، وموسى ، وغيرهم من الأنبياء والرسل عليهم السلام ، وذلك غير صحابة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والتابعين وتابعيهم من المسلمين الذين رووا بدمائهم الزكية هذه الأرض ، وهم يجاهدون أعداءها الذين كانوا يحاولون الغلبة عليها عبر التاريخ ، ومن هؤلاء : الإمام أبو حامد الغزالي ـ رحمه الله ـ الذي كتب معظم كتبه في رحابها ، وفي مقدمها كتابه القشيب : «إحياء علوم الدين» .

* * *

الهوامش :

١ ـ مروة أديب جبرة ، «القدس تحت الاحتلال الإسرائيلي جغرافياً وديموغرافياً» ، ندوة : «فلسطين عبر عصور التاريخ» ، مركز البحوث والدراسات التاريخية ، كلية الآداب جامعة القاهرة ، ٤ ـ ٥ نوفمبر ١٩٩٥م .

٢ ـ أحمد يوسف القرعي ، «القدس ١٩٩٥م وتحديات السنوات الثلاث المقبلة» ، مجلة : «السياسة الدولية» ، العدد ١٢٣ ، يناير ١٩٩٦م ، ص ٢١٠ .

٣ ـ مروة أديب جبرة ، مرجع سابق ، ص ١ .

٤ ـ فهمي هويدي ، «القدس في المزاد» جريدة الأهرام ، ٣١/ ١٠/ ١٩٩٩٥م ، ص ١١ .

٥ ـ فهمي هويدي ، «شهادات مقدسية قبل الغرق» جريدة الأهرام ، ٧/ ١١/ ١٩٩٥م ، ص ١١ .

٦ ـ عكرمة صبري ، «منزلة القدس في الإسلام ، وتأثير الاستيطان والحفريات عليها» ، ندوة القدس : «القدس» ، جامعة الدول العربية ، القاهرة ، (١٢ ـ ١٤/ ٣/ ١٩٩٩٥م) ، ص٧ .

٧ ـ ناصر الدين الشاعر ، «احتفالات القدس ٣٠٠٠ : تثبيت لواقع سياسي ، وتجاهل لمنطق التاريخ» ، جريدة الحياة اللندنية ، ٥/ ٩/ ١٩٩٥م .

٨ ـ جمال عبدالهادي ، «بيت المقدس إسلامية» ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، المنصورة ، مصر ، ط ١ ، ص٦ .

٩ ـ جمال عبدالهادي ، مرجع سابق ، ص ٧ .

(*) الوعي الإسلامي ـ العدد ٤١٨ ـ جمادى الآخرة ١٤٢١هـ ـ أغسطس ٢٠٠٠م

٣١ سنة على حريق المسجد الأقصى

ألا من نجدة له؟(*)

بقلم : الخضري علي السيد

(سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير)الإسراء :١ .

في يوم الثامن من شهر جمادى الثانية العام ١٤٢١هـ تمر الذكرى الحزينة الثالثة والثلاثون على حريق المسجد الأقصى ، وهو أسير مكبل في يد الأعداء .

يوم الخميس في الثامن من جمادى الثانية ١٣٨٩هـ الموافق ٢١ أغسطس ١٩٦٩م ، أحرقت إسرائيل المسجد الأقصى ، وقد دمر الحريق القسم الجنوبي الشرقي منه ، كما أتى على المنبر ، وادعت العصابات الصهيونية أن ماساً كهربائياً سبب الحادث ، ثم تراجعت وزعمت أن شاباً إسرائيلياً أوقد النار في المسجد ، وبهذه المؤامرة الصهيونية اتضحت نوايا العدوان في محو الآثار الإسلامية ، والعدوان على المقدسات الدينية الإسلامية لتقيم على أنقاضها هيكل سليمان .

ترى كيف تمت المؤامرة الكبرى ضد الإسلام؟ وما المدى الذي بلغته الصهيونية في الاستخفاف بالمسلمين؟ فالعدوان على المقدسات وقبل الحريق بسنوات عدة أعلن مجرم الحرب «**دافيد بن غوريون**» **بكل وقاحة أنه «لا معنى لإسرائيل من دون القدس ، ولا معنى للقدس من دون المسجد الأقصى»** ، من أجل ذلك لم يكن مفاجأة ما حدث من إقدام إسرائيل على جريمة «حرق المسجد الأقصى» أولى القبلتين وثالث

الحرمين . . . فإن إسرائيل تستهدف من قديم الزمان الاستيلاء الكامل على المسجد الأقصى بحجة البحث عن هيكل سليمان ، حتى دفعها ذلك إلى إجراء كثير من الحفريات حول المسجد وفي مساحات واسعة محيطة به امتدت نحو آلاف الأمتار ، ومن المؤسف أن إشعال النار في أولى القبلتين وثالث الحرمين لم يكن مفاجأة ، وأن العرب والمسلمين لم يؤخذوا على حين غرة إذ أقدمت إسرائيل على حرق المسجد الأقصى ، ولن يؤخذوا كذلك على حين غرة إذا ما فعلت إسرائيل ـ لا قدر الله ـ بمقدساتهم أكثر من ذلك ، فإن نوايا الصهيونية الأثيمة تجاه المقدسات في المدينة المقدسة «القدس» وضد المسجد الأقصى بالذات ومخططهم لإزالته من الوجود وإقامة هيكل سليمان على أنقاضه أمر معلوم ومكتوب ومطبوع قبل أن يكون لإسرائيل وجود في أرض العرب والمسلمين ، وما أعتقد أن ذلك كان مجهولاً أو خافياً على أحد منهم ، هذه حقيقة ، وهذه المستندات تؤيدها وتثبتها الوثائق التالية :

١ ـ جاء في دائرة المعارف اليهودية : أنهم يجمعون أمرهم بنية الزحف على القدس وقهر العرب وإعادة العبادة إلى الهيكل «أي إلى المسجد الأقصى» وإقامة ملكهم هناك .

٢ ـ جاء في دائرة المعارف البريطانية : أن اليهود يتطلعون إلى توسع إسرائيل ، واستعادة الدولة اليهودية ، وإعادة بناء الهيكل .

٣ ـ طلب اليهود في أثناء الانتداب البريطاني على فلسطين من الحكومة البريطانية أن تسلمهم الحرم الشريف في مدينة القدس بحجة أنه ملك لهم .

٤ ـ في سنة ١٩١٨م روى «رونالد ستورس» أول حاكم بريطاني للقدس بعد الحرب العالمية الأولى أنه أقام مأدبة جمع فيها بين زعماء

العرب في فلسطين ولجنة من كبار الصهاينة قدمت لتعمل على تطبيق وعد بلفور ، **ووقف وايزمان وألقى خطبة بعد العشاء قال فيها : «إن اليهود لا يأتون إلى فلسطين ولكنهم يعودون . . . وإنه لمن الخبث والخيانة أن يستمع أحد إلى هؤلاء الذين يرددون أن لليهود أي أطماع سياسية في فلسطين . . . وكل ما يطمع فيه اليهود هو مكان يعيشون فيه بجوار الفلسطينيين» . . . ثم قدم مصحفاً للعرب في صندوق من الخشب المحلّى بالذهب . . . «خبث وخيانة»** .

٥ ـ في سنة ١٩٢٩م ، أعلن الزعيم اليهودي «جلوزتز» أن المسجد الأقصى القائم على قدس الأقداس ملك لهم .

٦ ـ قال الوزير اليهودي البريطاني «اللورد متشت» : إن اليوم الذي سيُعاد فيه بناء الهيكل أصبح قريباً جداً ، وإنني أكرِّس ما بقي من حياتي لبناء هيكل سليمان مكان المسجد الأقصى .

وخرجت أحلام الصهيونية إلى حيز التنفيذ بعد حرب يونيو ١٩٦٧م ، وعمدت إسرائيل إلى تدعيم وجودها في القدس ـ متحدية بذلك قرارات مجلس الأمن ، والجمعية العامة للأمم المتحدة ، وسعت منذ اللحظة الأولى لوضع أقدامها في المدينة المقدسة إلى إهانة المقدسات الإسلامية ، والاستخفاف بالرأي العام العربي والإسلامي ، وكان من مظاهر هذا الاستخفاف وهذه الإهانة ما يلي :

ـ استباحة حرمة المسجد الأقصى بالسماح للإسرائيليين والإسرائيليات بدخوله في ملابس فاضحة وفي أوضاع مستهجنة كأنهم في أماكن الدعارة والفجور .

ـ هدم جميع الأبنية الأثرية الملاصقة للمسجد الأقصى .

ـ القيام بحفريات حول المسجد تلحق أضراراً جسيمة بمبناه بحثاً عن آثار عبرانية تكشف عن هيكل سليمان .

ـ تصريح أدلى به وزير الأديان الإسرائيلي في مؤتمر ديني عقد في مدينة القدس عقب الاحتلال قال فيه : «أرض الحرم ملك يهودي بحق الاحتلال ، وبحق شراء أجدادهم لها منذ ألفي سنة» .

ـ إنشاء صندوق لجمع الأموال من أجل إعادة بناء الهيكل .

ـ وثيقة قدمتها لجنة إنقاذ القدس لمجلس الجامعة العربية عن نوايا إسرائيل تجاه المسجد الأقصى ، وهذه الوثيقة هي خطاب للماسوني الأميركي «جريدي ترى» قال فيه : إن هيكل سليمان كان المحفل الماسوني الأصل ، وإن سليمان كان رئيس المحفل ، وإن مسجد عمر واقع على الهيكل هو والصخرة التي قدم عليها أبونا إبراهيم ولده إسماعيل قرباناً لله . . . وإنني كماسوني أرأس جماعة في أميركا تطمع أن ترى هيكل سليمان وقد أعيد بناؤه ، وأن هذه الجماعة تقوم بجمع مئة مليون دولار لهذا الغرض .

ـ مهدت الصحف الإسرائيلية لعملية إزالة المسجد الأقصى من الوجود ، حيث كان شعارها ، يجب الاستيلاء بسرعة على المقدّسات الإسلامية ، ووضعها تحت سلطة إسرائيل مهما كان الثمن .

والثمن في نظر إسرائيل قليل لا يكلفها شيئاً ، فهو استنكار من مجلس الأمن .

ثم ماذا بعد وقوع الحادث المأساوي المفجع الذي أصاب المسلمين في أقدس مقدساتهم حين أقدم الصهاينة على إحراق المسجد الأقصى ، فالكثير من الصحف والمجلات العربية والإسلامية خرجت صفحاتها مجللة بالسواد بعد الحادث ، وردود الفعل السيئة في البيانات والتصريحات والنداءات والبرقيات المعبِّرة عن مبلغ الألم الذي عصر النفوس ، وعن شدة اللهب الذي يغلي في الصدور ، وعن الدم الذي نزفته القلوب أسى وحسرة ، ولكن سبحان الله انتهى الدور عن كلمات

التنديد والاستنكار ، ومضى ثلاث وثلاثون سنة ومازالت التصريحات والنداءات والبرقيات ، وهنا نقول نعم يا أمة الإسلام ! ! ماذا تنتظرون؟ وماذا أنتم فاعلون؟ هل بقي لكم من عذر ، أو شبه عذر بعد كل هذا البغي الإجرامي ، وبعد أن بلغ السيل الزبى؟ ! ! لا . . . يا إخواننا المسلمين ، إنه من المحال حقاً أن يقف إلى جانبكم مناصر ومؤيد ممن آلوا على أنفسهم أن يناوئوا الإسلام ، وأن يحاربوا المسلمين .

من المحال جداً أن يقولوا لعدوكم الباغي إسرائيل كفى ، كفى ظلماً وعدواناً ، يا إسرائيل .

من المحال . . . من المحال أن يقولوا لطفلهم المدلل قولاً كهذا حتى ولو كان مجرد كلام ، حتى ولو حبراً على ورق ، ولو أحرق المسجد الأقصى إذاً ما العمل؟ ما العمل يا إخواننا في دين الله؟ وماذا تنتظرون؟ ما العمل بعد كل هذا الإثم الذي يرتكبه معكم عدو غادر ماكر ، لم تعرف له أي صفة من صفات الشرف في كل تاريخه الأسود الطويل ، وصدق الله العظيم : (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا) المائدة :٨٢ . والحقيقة أن حريق المسجد الأقصى لن يكون الأخير ! .

فالحقيقة التي لا مهرب منها هي أن **حرب الصهيونية ضدنا هي حرب دينية يهودية** حدد اليهود مضمونها ، وهم اليوم يكشفون عن هذا المضمون الذي ما كان يخفى إلا على الأغبياء والواهمين .

إن حربنا مع إسرائيل هي حرب طبقية استعمارية ، كما أنها حرب دينية ، ليس لأننا نحن نريدها حرباً دينية ، ولكن لأن الذين هيأوا للحرب وجمعوا اليهود من كل مكان في الأرض إنما فعلوا ذلك مدفوعين بالحقد الديني الموروث ، وما نجحوا في أول خطواتهم إلا بتحريك الغرائز الحيوانية للحقد الطائفي الذي حملوه منذ ألفي عام .

إنها حرب دينية لانملك نحن تغيير أسبابها ، لأننا لم نبدأها ، ولم نخطط لها ، ولم نحدد غاياتها ، إننا لا نملك غير العمل لتغيير نتائجها التي يتصورها اليهود . وبعد ذلك ، أما يزال في العرب والمسلمين من يعلق أملاً على الضمير العالمي ، والهيئات الدولية ، ومؤتمرات جنيف ، ومدريد ، وموسكو ، وغيرها ، والحلول السلمية؟

أما يزال فيهم من يعتقد أن هذه الحرب من أجل فلسطين؟ أو من أجل الشرق الأوسط . . . أم أنها من أجل القضاء على الإسلام وحرق المسلمين؟ .

هل يحتاج المسلمون بعد ألسنة النار التي التهمت المسجد الأقصى إلى من يوقد حميتهم ، ويشعل إرادتهم للوقوف صفاً واحداً وجبهة واحدة في وجه العدوان الصهيوني؟

عندما يشعر المسلمون بأنه لا سبيل لإنقاذهم من ورطاتهم المتعددة ، سواء في فلسطين أو غيرها ، إلا بالعودة إلى الله ـ فإذا عادوا إليه وحققوا تعاليمه وأوامره ـ فإنه سبحانه لن يتخلى عنهم كما قال في كتابه الكريم : (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) سورة محمد :٧ ، فإذا ما سلكنا هذا المسلك وأحسنا البناء ، أمكننا حينئذ أن نسير على الدرب التي توصلنا إلى إنقاذ المدينة المقدسة «القدس» .

المراجع :

١ ـ بيت المقدس في ضوء الحق والتاريخ ـ د .عبدالحليم يونس .

٢ ـ مجلة الأزهر شهر شعبان سنة ١٤٠٨هـ .

٣ ـ مجلة الأمة القطرية المتوقفة ـ العدد السادس والثلاثون .

٤ ـ مجلة الوعي الإسلامي ـ العدد الخامس والخمسون .

٥ ـ مجلة الوعي الإسلامي ـ العدد السابع والخمسون .

(*) العدد (٤١٨) جمادي الآخرة ١٤٢١هـ ـ ص٢٨ .

وثيقة تسليم القدس

للخليفة عمر بن الخطاب(*)

للدكتور إبراهيم أحمد العدوي

جاء خروج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من عاصمته بالمدينة المنورة بالحجاز ليستلم بنفسه مفاتيح بيت المقدس في فلسطين ولتكون شاهداً عملياً قدَّمه هذا الخليفة العظيم للأجيال العربية عن أصالة حقهم في هذه المدينة الخالدة ، التي أسسها أجدادهم العرب القدامى من أهل فلسطين ، ومثلاً تطبيقياً لما يجب أن ينهض به القَوَمَةُ على الأمة العربية ـ خالفاً عن سالف ـ في سبيل حماية مقدسات هذه المدينة من دسائس المتآمرين من اليهود الذين اشتهروا في التاريخ باسم دعاة الصهيونية ، وحتى تظل هذه المدينة العربية الأصيلة ـ كعهدها ، دائماً وأبداً ـ مدينة السلام ، ذلك أن هذا الخليفة اختص بيت المقدس وحدها بهذا التكريم من دون المدن الأخرى التي فتحها المسلمون على عهده ، وبادر إلى تلبية النداء الذي أعلن فيه أهل القدس ، وعلى رأسهم البطريق صفرنيوس ، عن رغبتهم في أن يتسلم مدينتهم المقدَّسة الخليفة شخصياً ، دون غيره من قادة جيوش التحرير الإسلامية المجاهدة في الشام وفلسطين .

كشفت سرعة استجابة الخلافة الإسلامية لمطالب أهل القدس عن تطور جديد في حياة هذه المدينة ، قوامه أمران مهمان :

أولهما : أن كبار أهل الحل والعقد من الصحابة ، وهم الهيئة التنفيذية العليا التي ضمها في الدولة الإسلامية إذ ذاك «مجلس الشورى» قد أكدت بتأييدها خروج الخليفة لاستلام القدس ارتباط الأصول الدينية لهذه المدينة بالدين الإسلامي الجديد ، وأن واجب

الدفاع عن تلك المقدسات وأصولها هو دفاع عن الدين الإسلامي نفسه .

وثانيهما : أن الخليفة أراد أن يؤكد من جانبه أن تحرير القدس لن يتم إلا بتحرير فلسطين ، وأن الموقف بات يتطلب توليه القيادة العليا بنفسه لجيوش التحرير في الشام وفي فلسطين ، على أساس أن الجهاد في سبيل تلك الأرجاء هو جهاد مقدس يجب أن يسهم فيه على قدم المساواة جميع أبناء الدولة العربية الإسلامية ، كبيرهم وصغيرهم ، طلباً للعزة في الدنيا ، والفوز بجنات النعيم في الآخرة .

وكانت التقارير التي وصلت من قادة الجيوش الإسلامية في الشام وفلسطين إلى عاصمة الدولة الإسلامية في المدينة المنورة تحض على سرعة خروج الخليفة بنفسه لتحرير القدس وفلسطين . ذلك أن أعداء المسلمين هناك ، وهم البيزنطيون ، الذين عرفهم العرب باسم الروم ، قد صمموا أمام زحف الجيوش الإسلامية المظفر على الانسحاب من كبرى مدن الشام وفلسطين واتخاذ مدينة بيت المقدس قاعدة يعيدون فيها تعبئة قواتهم لإفساد التقدم الإسلامي ، باستغلال مناعة هذه المدينة المقدسة ، وكان صاحب هذه الخطة البيزنطية هو «أرتيون» قائد الروم الذي اشتهر عند العرب باسم «الأرطبون» ، وبادر الخليفة عمر بن الخطاب بتوجيه عمرو بن العاص لمحاربة هذا القائد قائلاً : «قد رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب» ، غير أن قائد الروم انسحب أمام جيش عمرو بن العاص عند أجنادين ولجأ بقواته إلى بيت المقدس ، حيث أفصح عن خطته في التصدي للمسلمين .

وأعلن «أرطبون» الروم من قاعدته في بيت المقدس عن خطته الخبيثة في كتاب بعث به إلى عمرو بن العاص في أجنادين جاء فيه :

«إلى عمرو : إنك صديقي ونظيري ، أنت في قومك مثلي في قومي ، والله لا تفتح من فلسطين شيئاً بعد أجنادين ، فارجع ولا تغر فتلقى ما لقي الذين قبلك من الهزيمة» . وكتب عمرو بن العاص إلى الخليفة يوضح له الموقف الجديد في القدس وفلسطين قائلاً له : «إني أعالج حرباً كؤوداً صدوماً ، وبلاداً ادخرت لك ، فرأيك» ـ ولما كان الخليفة عمر يثق كل الثقة في تقارير عمرو بن العاص فإنه بدأ يستعد للخروج بنفسه لتحرير هذه البلاد التي ادخرها الله له ، كما ذكر قائده المحنك في أرض فلسطين .

وعزز هذه الاستعدادات في عاصمة الخلافة التقارير التي وردت بدورها من أبي عبيدة بن الجراح القائد العام للجيوش الإسلامية في الشام . إذ أراد هذا القائد أن يبعث بجيوشه من دمشق إلى فلسطين لشد أزر عمرو بن العاص ، وعقد مجلساً حربياً للتشاور في الأمر ، ولتقرير الجبهة التي تتجه إليها تلك الجيوش . إذ كان أمام هذا القائد العام خطتان : **إحداهما** أن تتوجه الجيوش أولاً : لفتح قيسارية التي كان بقاء جند الروم فيها يحول دون انطلاق عمرو بن العاص من أجنادين ، **والثانية** : تنادي بأن تزحف الجيوش مباشرة إلى بيت المقدس للحيلولة دون استقرار «الأرطبون» وقواته بها .

واستقر رأي المجلس الحربي على ضرورة استشارة الخليفة عمر بن الخطاب في هذا الشأن حيث قال معاذ بن جبل لأبي عبيدة : أيها الأمير اكتب إلى أمير المؤمنين عمر فحيث أمرك امتثله . فقال أبو عبيدة : أصبت الرأي يامعاذ .

ثم كتب إلى الخليفة شارحاً له الموقف ، وجمع عمر بن الخطاب «مجلس الشورى» من كبار الصحابة ، وقرأ عليهم كتاب أبي عبيدة ،

فقال علي بن أبي طالب بعد مداولات واسعة ، تبلور فيها الموقف : «يا أمير المؤمنين مر صاحبك ينزل بجيوش المسلمين إلى بيت المقدس ، فإذا فتح الله بيت المقدس صرف وجهه إلى قيسارية ، فإنها تفتح بعدُ إن شاء الله تعالى» . وعندئذ كتب الخليفة بهذا الرأي الذي استقر عليه مجلس الشورى لأبي عبيدة جاء نصه كما يلي :

«أما بعد ـ فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأصلي على نبيه ، وقد وصلني كتابك تستشيرني إلى أي ناحية تتوجه ، وقد أشار ابن عم رسول الله بالمسير إلى بيت المقدس ، فإن الله يفتحها على يديك ، والسلام» .

وهلل جند المسلمين فرحاً في الشام لزحفهم على بيت المقدس ، وتقدموا وعلى رأسهم القائد العام أبو عبيدة بن الجراح ، وحين اقتربت الجيوش الإسلامية من هذه المدينة أعلن سكانها العصيان على «الأرطبون» ، وعرضوا على أبي عبيدة رغبتهم في تسليم مدينتهم إلى الخليفة عمر بن الخطاب نفسه ، وبعث القائد العام بهذا الطلب إلى الخليفة الذي عقد «مجلس الشورى» مرة أخرى قائلاً لهم : «ما ترون رحمكم الله فيما كتب إلينا أمين هذه الأمة؟» ، واستقر الرأي على تلبية طلب أهل القدس ، وأتم الخليفة الاستعداد للخروج إلى فلسطين ، حيث بات لديه علم دقيق بأحوالها من مصدرين مهمين :

أحدهما : من عمرو بن العاص ، **والآخر** : من أبي عبيدة بن الجراح ، وكل منهما يؤكد ضرورة حضوره بذاته إلى تلك البلاد التي ادخر الله فتحها على يديه ، وحين ترامت أنباء مسير عمر بن الخطاب بذاته إلى فلسطين انسحب «الأرطبون» سريعاً من بيت المقدس حيث عجز عن المقام بها لعدم تعاون سكان البلدة معه ، واتجه إلى مصر حيث كانت إذ ذاك تحت سيطرة الروم .

وكان الطريق الذي سلكه الخليفة عمر بن الخطاب للذهاب إلى بيت المقدس يسير وفق خطة رسمها بنفسه ، استهدف منها أن تبقى أمام الصحابة والتابعين وتابعي التابعين منهم بإحسان إلى يوم الدين نموذجاً يهديهم سواء السبيل ، من أجل الحفاظ على هذه المدينة المشرفة ، ورعاية مقدساتها الجليلة ، إذ جمعت تلك الخطة بين الاستعداد الحربي الكامل وبين الالتزام بالبساطة التامة البعيدة عن الزهو والخيلاء ، فغادر الخليفة المدينة المنورة متجهاً إلى «أيلة» وهي العقبة الحالية باعتبارها مفتاح المدخل الجنوبي لفلسطين .

ثم سار إلى الجابية من مرتفعات الجولان الحالية ، حيث جعل من هذا المكان الاستراتيجي بين سورية وفلسطين مقراً لعقد مؤتمر حربي استدعى إليه قادة الجند بالشام للتشاور معهم في طلب أهل القدس ، ووضع أمثل السبل لإتمام فتح فلسطين .

وتوجه أبو عبيدة بن الجراح القائد العام للجيوش الإسلامية بالشام إلى الجابية حيث التقى الخليفة عمر بن الخطاب هناك وتعانقا ، ثم توافد على الخليفة من يحضرون صلاة الفجر وخطبهم ، ثم تدارس مع القائد العام الوضع في بلاد الشام ، حتى حضرت صلاة الظهر ، حيث جرت في خشوع جليل ، روى ذلك أحد شهود العيان قائلاً : «فأذّن بلال في ذلك اليوم ، فلما قال : الله أكبر ، خشعت جوارحهم ، واقشعرت أبدانهم ، فلما قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، بكى الناس بكاء شديداً عند ذكر الله ورسوله ، وكاد بلال أن يقطع الأذان ، فلما فرغ من الأذان صلى عمر رضي الله عنه بالحاضرين» .

وجرت وسط هذه المظاهر الجليلة جلسات المؤتمر الحربي بالجابية

تحت رئاسة الخليفة للنظر في شأن القدس ، وحضر في ذلك الوقت وفد شعبي يمثل أهالي القدس لمقابلة الخليفة عمر وتسليم بلدتهم له ، وجاء تشكيل هذا الوفد على تلك الصورة دلالة واضحة على أن انسحاب الروم من بيت المقدس كان أمراً حتمياً فرضته الرغبة الشعبية في هذه المدينة على أولئك المستعمرين البغاة ، وشاهداً قوياً على أن أهالي القدس وجدوا في الدولة العربية الإسلامية الفتية ينبوعاً دافقاً يغذي أصولهم العربية ، ويهيئ لهم استعادة سالف أمجاد مدينتهم وأمنها ، وكان أهم مطلب ركّز الوفد الشعبي عليه هو ألا يساكنهم مدينتهم أحد من اليهود ، الذين اشتهروا بمحاولاتهم العديدة اغتصاب هذه المدينة ، وإثارة القلاقل فيها ضد السلطات الحاكمة تحت ستار الاحتماء بقدسية تلك المدينة ، وكان أخطر محاولات اليهود التي شهدها أهالي القدس قبل الفتح الإسلامي ما حدث على عهد الامبراطور الروماني «هارديان» سنة ١٣٥م ، إذ قاموا بأعمال شغب واسعة في القدس ، دفعت هذا الامبراطور إلى الإسراع بنفسه إلى بيت المقدس ، وطرد اليهود منها كلية ، وبلغ الحنق بهذا الامبراطور حداً دفعه إلى أن يطلق على بيت المقدس اسمه الأول ، وصارت تدعى نسبة إليه باسم «إيلياء» ، وذلك رغبة في سد السبل نهائياً أمام اليهود لاستغلال اسم هذه المدينة المقدّسة .

وظلت مدينة بيت المقدس تحمل اسم «إيلياء» حين خرج الوفد الشعبي من أهلها لمقابلة الخليفة عمر بن لخطاب ، وطلبوا منه أن يسجل إليه الاسم في وثيقة تسليم مدينتهم له ، دلالة على خلوها تماماً من اليهود ، وإصراراً منهم على ألا يساكنهم فيها أحد من اليهود ، وكان هذا المطلب الشعبي لأهل القدس هو المطلب نفسه الذي أصرَّ عليه البطريق «صفرنيوس» حين عرض تسليم المدينة المقدَّسة للخليفة عمر

ابن الخطاب شخصياً ، ووافق الخليفة على مطالب أهل القدس وسجلها في وثيقة محددة البنود ، أضاف إليها شروطاً تنص على احترام مقدسات هذه المدينة وما يكفل لها السلام أيضاً من بقايا الروم فيها وعملائهم ، وجاء نص هذه الوثيقة التاريخية المؤكدة لخلو القدس من اليهود وارتباطها بأصولها العربية ، وكذلك بالدين الإسلامي الجديد على النحو التالي :

«بسم الله الرحمن الرحيم

* هذا ما أعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان .

* أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ، ولكنائسهم وصلبانهم ، وسقيمها وبريئها ، وسائر ملتها .

* أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ، ولا ينتقص منها ولا من حيزها ، ولا من صليبهم ، ولا من شيء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم .

* ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود .

* وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن .

* وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوت «أي اللصوص» .

* فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغ مأمنه ، ومن أقام منهم فهو آمن ، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية .

* ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم ، حتى يبلغوا مأمنهم .

* ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان ، فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية .

* ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع إلى أهله ، فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم .

* وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية .

* شهد على ذلك خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعبدالرحمن بن عوف ، ومعاوية بن أبي سفيان .

* وكتب وحضر سنة خمس عشرة .

وكشفت هذه الوثيقة التاريخية بنصوصها الصريحة عن حقيقتين راسختين .

أولهما : أن اليهود لم يكن لهم وجود على الإطلاق في بيت المقدس حين زحفت الجيوش الإسلامية على بلاد الشام ، وأن أهالي القدس أنفسهم كانوا يقفون قبل الإسلام بالمرصاد لدسائس منحرفي اليهود ، وهدم ما زعموه بهتاناً من حقوق لهم في هذه المدينة المقدَّسة ، وأن الإسلام حين امتد إلى أرض فلسطين جاء ليدعم هذه الحقيقة التاريخية ويؤكدها بخصوص خلو بيت المقدس تماماً من اليهود .

ثانيهما : أن المسلمين يكنون للمقدسات المسيحية في بيت المقدس الإجلال نفسه الذي يكنه المسيحيون لتلك المقدسات ، وأن المسلمين يجدون فعلاً في النصارى أقرب مودة إليهم ، وأهلاً للتعاون في رعاية المقدسات الدينية في هذه المدينة الخالدة .

وعاد الوفد الشعبي إلى بيت المقدس من الجابية يحمل هذه الوثيقة التاريخية ، ويستعد لاستقبال الخليفة في المدينة المقدسة ، وكان الخليفة يستعد لهذه الزيارة استعداداً يجعل منه نموذجاً عملياً أمام المعاصرين وغيرهم من الأجيال العربية وغير العربية على مر العصور عن إيمان المسلمين بمكانة بيت المقدس في الدين الإسلامي الجديد ، والتطبيق العملي لاحترام المسلمين لمقدسات هذه المدينة ، فعمد الخليفة ـ أولاً ـ إلى تأمين بيت المقدس وسائر ديار فلسطين من أي هجوم غادر قد يشنه الروم إذ أقام حامية في إيلياء بقيادة علقمة بن مجزر ، وأخرى في الرملة بقيادة علقمة بن حكيم ، على حين ضم إليه في الجابية عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة وغيرهم من القادة العاملين في تحرير أرض فلسطين .

وغادر عمر بن الخطاب مقره في الجابية عن طريق مرتفعات الجولان إلى بيت المقدس في موكب جمع بين المهابة والجلال والبعد التام عن مظاهر الزهو والخيلاء ، ووصف أحد المعاصرين هذا الموكب قائلاً : إن الخليفة حين جاء ميعاد زيارة بيت المقدس أمر الناس بالركوب ، ومعظمهم من قادة الجند والصحابة الأجلاء ، ولما همَّ الخليفة بالركوب على بعيره وعليه مرقعة الصوف قال المسلمون : يا أمير المؤمنين ، لو ركبت غير بعيرك جواداً ، ولبست ثياباً لكان ذلك أعظم لهيبتك في قلوب القوم ، وأقبلوا يسألونه ويطوفون به إلى أن أجابهم إلى ذلك ، ونزع مرقعته ، ولبس ثياباً بيضاء . قال الزبير : أحسنها كانت من ثياب مصر تساوي خمسة عشر درهماً ، وطرح على كتفه منديلاً من الكتان ، دفعه إليه أبو عبيدة ، وقدَّم له برذوناً أشهب ، فلما صار عمر فوقه جعل البرذون يهملج (أي يسير عجباً) . وعندئذ نزل الخليفة مسرعاً وضرب وجه البرذون ، وقال : لا علّم الله من علمك ! ، هذا من

الخيلاء ، ولم يركب برذوناً قبله ولا بعده ، ثم صاح بالناس قائلاً : أقيلوني عثرتي أقالكم الله عثراتكم يوم القيامة ، لقد كاد أميركم يهلك مما داخله من الكبر ، ثم إنه نزع البياض ، وعاد إلى لبس مرقعته وركوب بعيره ، فعلت ضجة المسلمين بالتهليل والتكبير .

ودخل موكب الخليفة عمر بن الخطاب مدينة بيت المقدس يوم الخميس الموافق ٣ مايو سنة ٦٣٦م ، حيث استقبله زعماء المدينة وعلى رأسهم البطريق «صفرنيوس» ، وسط مظاهر الحفاوة من السكان جميعاً ، واستهل الخليفة زيارته بمشاهدة الأماكن المقدسة ، والكنائس الكبيرة في القدس ، حيث تولى البطريق «صفرنيوس» شرح تاريخ تلك المشاهد الدينية ، وحرص الخليفة طوال هذه الزيارة على دعم حقوق المسيحيين في مقدساتهم وتجنب كل ما قد يثير الريب حولها ، إذ تصادف أن حل ميعاد الصلاة ، وهو يزور كنيسة القيامة ، وسأل البطريق عن مكان يصلي فيه ، فلما أجابه البطريق : صل مكانك ـ أيها الخليفة ـ خرج من الكنيسة ، وصلى في مكان بالقرب منها ، ولما أتم الصلاة قال للبطريق : أيها الشيخ ، لو صليت في كنيسة القيامة لاتخذها المسلمون معبداً لهم .

وكان الخليفة حريصاً أيضاً في تلك الزيارة على مشاهدة معالم المسجد الأقصى الذي حمل له صورة واضحة عن الرسول الكريم ليلة الإسراء والمعراج ، وكذلك مشاهدة الصخرة المقدّسة ، وتكرر وقوف الركب في أماكن عدة التبس على البطريق نفسه أنها المسجد الأقصى ، ولكن الخليفة أعلن في كل مرة أن أوصاف تلك الأماكن لا تنطبق على ما تعيه ذاكرته من الأوصاف التي نقلها عن الرسول الكريم ، وكان موقع المسجد الأقصى والصخرة المقدَّسة قد تعرض للإهمال في الأيام

الأخيرة من حياة القدس في ظل استعمار الروم ، وغدا بقعة تغطيها القمامة ، وحين اقترب الركب من هذا المكان ، بدأ الخليفة فحص معالمه بنفسه ، وتأكد أنه المكان المبارك . وعندئذ أخذ الخليفة ـ كما وصف أحد المرافقين له ـ يحثو القمامة في كمه ويذهب ليلقيها في وادي النار «قدرون» الواقع شرق المكان ، فاقتدينا به وحثونا كما حثا مرات كثيرة حتى ظهر المكان ، وتطهَّر واتضحت معالمه ، كما ظهرت الصخرة المباركة وتطهَّرت .

وأمر الخليفة ببناء مسجد في هذا المكان ، بحيث كانت الصخرة في الخلف ، ولتكون القبلة في صدر المسجد ، دفعاً لأي شبهات قد تُثار حول هذا المسجد الإسلامي ، وشرح الخليفة ما قام به مؤكداً أنه جعل رائده «كما جعل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبلة مساجدنا صدورنا» ثم أضاف الخليفة قوله : «فإنا لم نؤمر بالصخرة ، ولكنا أمرنا بالكعبة» .

وصلى الخليفة بالحاضرين ، بعد أن أمر المؤذن بإقامة الصلاة ، وقرأ سورة (ص) وسجد فيها ، ثم قام وقرأ في الثانية سورة (الإسراء) ، وجاءت تلاوة هذه الآيات البينات إعلاناً رسمياً عن ربط الأصول الدينية للقدس الشريف بالدين لإسلامي الجديد ، وبالقوامة عليه من أبناء الأمة العربية ، وأمضى الخليفة عشرة أيام في القدس ، قام فيها بأعمال جليلة غدت تكوّن العهد الجديد للقدس في ظل حماية العروبة والإسلام ، كما ترك في يد أبناء هذا البلد الشريف وثيقة تاريخية تدعم حقهم في صيانة بلدهم ، وجعلها على مر العصور مدينة عربية خالصة ، رائدها ـ كما كانت منذ نشأتها على يد سكانها من العرب القدامى ـ أن تكون «مدينة السلام» .

(*) مجلة الوعي الإسلامي العدد ١٠٠ ، ربيع الآخر ١٣٩٣هـ ، مايو ١٩٧٣ .

قائمة بأهم الوقائع التي حدثت في فلسطين حسب الترتيب الزمني

* عن كتاب : بلادنا فلسطين ـ للأستاذ مصطفى الدباغ

أولاً : قبل التاريخ :	
ـــــ	سكن البشر فلسطين ، وكانوا صيادين
٢٠٠,٠٠٠ ق .م	معرفة الفلسطينيين للنار
١٥٠,٠٠ ق .م	دجَّن الفلسطينيون الكلب وغيره من الحيوانات ، وأخذوا يعتمدون في معيشتهم على الصيد والرعي ، وفي الفترة الأخيرة زرعوا القمح وغيره وابتدءوا ينشئون المدن
١٢٠٠٠ـ ٦٠٠٠ ق .م	نزل بعض سكان الجزيرة العربية فلسطين واستقروا فيها
٦٠٠٠ ق .م	اخترع الفلسطينيون صناعة الخزف
٤٠٠٠ ق .م	استعمل الفلسطينيون النحاس
ثانياً : بعد التاريخ المدون حتى الفتح الإسلامي :	
٢٥٠٠ ق .م	استقرار القبائل الأمورية ـ الكنعانية العربية في فلسطين
١٨٠٥ ق .م	هجرة النبي إبراهيم ـ عليه السلام ـ من العراق إلى فلسطين
١٦٧٥ ـ ١٥٨٠ ق .م	حكم الهكسوس لمصر
١٦٥٦ ق .م	نزوح أحفاد إبراهيم ـ عليه السلام ـ من فلسطين إلى مصر
١٥٧٠ ق .م	سقوط «شاروحين» المدينة الفلسطينية بيد القوات المصرية
١٥٠٠ ق .م	استقرار القبائل الآرامية في شمال الشام وجنوبه الشرقي
١٤٧٩ ق .م	سقوط «مجدو» بيد المصريين ، وتثبيت الحكم المصري فيها

العام	الوقائع
١٣٧٥ـ١٣٥٨ ق .م	تعرضت فلسطين لغارات البدو «الخابيري»
١١٨٦ ق .م	غارة اليهود على فلسطين وسقوط أريحا بأيديهم
١١٨٤ ق .م	نزول الفلسطينيين الآتين من كريد ، وأدخلوا معهم إليها صناعة الحديد
١١٥٠ ق .م	تقلص النفوذ المصري في فلسطين
١٠٢٠ ق .م	انتخاب طالوت «شاول» ملكاً على اليهود
٩٢٣ ق .م	انتهاء حكم الملك سليمان بن داود وانقسام المملكة اليهودية
٨٥٣ ق .م	معركة «قرقر» بين الآشوريين ودول الشام
٧٣٢ ق .م	خضوع فلسطين للحكم الآشوري
٧٢٢ ق .م	زوال المملكة الإسرائيلية
٦٠٨ ق .م	عودة الحكم المصري لفلسطين
٦٠٥ ق .م	خضوع بلاد الشام للكلدانيين
٥٨٦ ق .م	زوال المملكة اليهودية وخراب القدس
٥٣٨ ق .م	فتح الفرس لفلسطين
٣٣٢ ق .م	فتح الأسكندر المقدوني لفلسطين
٣٠١ ق .م	بداية حكم البطالسة
١٩٨ ق .م	بداية حكم السلوقيين
١٦٧ ق .م	ثورة المكابيين .
٦٣ ق .م	دخول الرومان لفلسطين
٤٠ ق .م	استيلاء الفرس على فلسطين
٣٨ ق .م	عودة الحكم الروماني للبلاد
٣٧ ق .م	القضاء على المكابيين وبدء حكم الهرادسة في فلسطين
٤ ق .م	وفاة هيردوس الكبير ، وولادة سيدنا عيسى ـ عليه السلام ـ

العام	الوقائع
٧٠ م	خراب القدس على يد طنطوس الروماني
١٠٠ م	انتهاء حكم الهرادسة
١٣٥ م	إخماد ثورة «بركوكب» اليهودي ضد الرومان وتشتت اليهود في أقطار العالم
١٩٥ م	انقسام الامبراطورية الرومانية ، ودخول فلسطين تحت حكم الأمبراطورية الرومانية الشرقية
٢٦٧ م	احتلال«زنوبيا» ملكة تدمر لفلسطين
٢٧٢ م	انتهاء مملكة تدمر وعودة الحكم الروماني للبلاد
٦١٤ م	احتلال الفرس لفلسطين
٦٢٧ م	عودة الحكم الروماني للبلاد
٦٣٦ م	اسيتلاء العرب المسلمين على فلسطين

(*) العدد ٧٩ ـ ص٨٨ ـ ١٣٩١ هـ ـ أغسطس ١٩٧١م .

المسجدان

الأقصى المبارك والصخرة المشرفة(*)

للشيخ : طه الولي

على إثر العدوان الذي ارتكبه اليهود في المسجد الأقصى المبارك ـ حين أحرقوا بالنيران منبره ومحرابه يوم ٨ جمادى الآخرة سنة ١٣٨٩هـ ٢١ أغسطس سنة ١٩٦٩م ـ طلبنا إلى المؤرخ الشيخ طه الولي أن يكتب لنا كلمة عن هذا الأثر الإسلامي العربي مع نبذة تاريخية خاصة بالمنبر الذي ذهبت به النيران عن آخره .

فكتب لنا الشيخ هذه الدراسة المهمة التي ننشرها على حلقات ، ونلفت نظر القراء إلى تتابعها .

الوعي

بيت المقدس متحف رائع للفنون الدينية في الإسلام :

استأثرت مدينة القدس الشريف باهتمام المسلمين منذ العصور الأولى للفتح الإسلامي نظراً لمكانتها الدينية التي أشار إليها القرآن الكريم في أكثر من آية ، وأكدتها السنَّة النبوية الشريفة في عدد غير قليل من الأحاديث والأقوال المأثورة .

وعلى الرغم من تعاقب السنين وتقادم الزمن فإن هذه المكانة الرفيعة بقيت آخذة بنفوس المسلمين وألبابهم دون أن يعروها تراخٍ أو وهن ، وقد شارك المجتمع الإسلامي على مختلف عصوره ومستوياته في التعبير عن احترامه لمدينة بيت المقدس بجيمع الوسائل التي يملكها سواء بالأقوال المكتوبة أو الأفعال المادية في مجالات البناء والعمران .

وإن المصنفات الدينية والمؤلفات التاريخية قد ازدحمت صفحاتها ذوات العدد بالشواهد الناطقة على حرص جميع الشخصيات الإسلامية ـ عبر عهودها المتباينة ـ على تخصيص هذه المدينة المقدسة بالنعوت السامية ، واختيارها لإقامة الآثار الدينية التي ما تزال حتى الآن تستقطب عناية علماء الدراسات والفنون الإسلامية في محافل الغرب والشرق على حد سواء .

وإنه ليمكن القول ، بل الجزم ، إن الكتب التي أُلِّفت عن التراث الإسلامي في القدس الشريف ، لا يكاد يضاهيها من حيث الأهمية النوعية والكمية العددية ، أي كتب أخرى مما أُلِّف حول غيرها من المدن في جميع أطراف العالم في القديم أو الحديث .

واليوم ، وقد أصبح ما في رحاب هذه المدينة التاريخية من معالم الإسلام تحت سلطان الدولة اليهودية ، ونزوات التعصب الحاقد التي تغلي بها صدور المسؤولين فيها ، وبعد أن أصبح الوضع السياسي والعسكري للمدينة نفسها في المأزق الذي ليس للمسلمين فيه أي حرية أو اختيار ، فإننا رأينا أن نأخذ أنفسنا بإحصاء تلك المعالم الغنية بمعاني الفن والجمال والقيم الروحية الخالدة ، التي أقامها خلفاء المسلمين وملوكهم وأمراؤهم وأعيانهم وعلماؤهم في أرض هذه البقعة الطاهرة ، منذ انبثق فجر الإسلام بضياء الحرية على البلاد الفلسطينية المقدسة ، حتى احتجاب هذا الضياء بالاحتلال اليهودي الذي جثم بظلامه عليها بعد كارثة حرب حزيران ١٩٦٧م .

الفصل الأول :

مسجد الصخرة المشرفة

* بناه الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان بإدارة رجاء بن حيوة ويزيد بن سلام . بدأ البناء سنة ٦٦هـ (٦٨٥م) وانتهى سنة ٧٢هـ ٦٩١م .

* الوليد بن عبدالملك استخرج ما على القبة من ذهب ، وسكها نقوداً أنفقت على ترميم المسجد .

* في سنة ٢١٦هـ (٨٣١م) المأمون بن هارون الرشيد ، أمر بترميم المسجد ثانية عندما زار بيت المقدس .

* في سنة ٣٠١هـ (٩١٣م) أم الخليفة المقتدر من آل عباس أمرت بصنع أبواب قبة الصخرة المشرفة من خشب التنوب «وهو نوع من جنس شجر الصنوبر» .

* في سنة ٤١٣هـ (١٠٢٢م) الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله أعاد ترميم القبة المشرَّفة وبعض أجزاء سور المسجد التي تصدعت أو سقطت أيام ولاية أبيه الحاكم بأمر الله .

* في سنة ٤٩٣هـ (١٠٩٩م) الصليبيون حولوا المسجد إلى كنيسة وبنوا على الصخرة المشرفة مذبحاً باسم (هيكل السيد العظيم) .

* في سنة ٥٨٦هـ (١١٩٠م) السلطان الملك الناصر صلاح الدين ابن يوسف بن أيوب أزال عن المسجد معالم الكنيسة ، ورفع المذبح ومحا الرسوم والتماثيل ، وزيَّن القبة المشرَّفة بنقوش جميلة .

* الملك العادل أخو صلاح الدين ، ثم الملك المظفر ، ثم الملك الأفضل ، ثم الملك العزيز ، وجميعهم من سلاطين الأيوبيين تولوا المسجد بعنايتهم وزادوا في زينته ، وتركوا فيه آثاراً من الكتابة والنقوش الزخرفية .

* في سنة ٦٦٩ هـ (١٢٧٠م) السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري من سلاطين المماليك البرجية ، اعتنى بعمارة المسجد وجدد فصوص الصخرة التي علا ظاهرها الرخام .

* في سنة ٦٩٤هـ (١٢٩٤م) الملك العادل زين الدين كتبغا المنصوري «من سلاطين المماليك» أعاد تجديد فصوص الصخرة المشرَّفة .

* في سنة ٧١٨هـ (١٣١٨م) الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون جدد الزخارف الذهبية في الصخرة المشرفة .

* في سنة ٧٨٩هـ (١٣٨٧م) الملك الظاهر برقوق من المماليك البحرية أمر نائبه بالقدس الشريف بهادر الظاهري بتجديد السدة (دكة المؤذنين) بالمسجد ، وأوقف على المسجد القيسارية المعروفة اليوم بخان السلطان .

* في سنة ٨٣٦هـ (١٤٣٢م) الأمير أركماس الجلباني قراسنقر الظاهري جقمق أوقف ضياعاً ، وجعل جانباً من ريعها للإنفاق على قبة الصخرة المشرَّفة والعناية بها ، وذلك في زمن الملك الأشرف برسباي .

* في سنة ٨٥٢هـ (١٤٤٨م) الملك الظاهر جقمق ، في أيامه دخل بعض أبناء الأعيان لصيد الحمام بالمسجد الشريف فأحرقوا بشموعهم جانباً من قبة الصخرة ، فقام ناظر الحرم يومئذ القاضي شمس الدين

الحموي بإطفاء الحريق وإصلاح ما احترق من القبة ، فأنعم عليه جقمق بألفين وخمسمئة دينار من الذهب ، فاشترى بها الناظر المذكور رصاصاً عمَّر به سقف القبة ، وأعاده أحسن مما كان من قبل الحريق .

* في سنة ٨٧٣هـ (١٤٦٧م) الملك الأشرف قايتباي المحمودي أمر بصنع الأبواب النحاسية التي بمدخل القبة المشرفة من جهة الغرب .

* في سنة ٩٤٥هـ (١٥٤٢م) السلطان العثماني سليمان بن سليم الأول أعاد عمارة الباب الشمالي لمسجد الصخرة المشرَّفة ، وصنع ست عشرة نافذة من الزجاج المذهَّب ، وكذلك ثلاثة أبواب نحاسية .

* في سنة ١٠٢٠هـ (١٦١١م) السلطان العثماني أحمد بن السلطان محمد خان وضع في داخل مسجد الصخرة قنديلين لهما سلاسل من الذهب الخالص ، وكتب على القنديلين كلمات : الله ، محمد ، أبو بكر ، عثمان ، علي ، الحسن ، الحسين ، وكتب بأسفل كل منها اسمه .

* محافظ القدس الشريف ، قرة قولاق ، حاجي مصطفى باشا قام ببعض الترميمات في المسجد بإشراف تابعه حسين أغا . سنة ١١١٧ هـ/ ١٧٠٥م .

* في سنة ١٢٢٣هـ (١٨١٧م) السطان محمود جدد في المسجد الشريف جزءاً من بلاطاته الرخامية .

* في سنة ١٢٧٠هـ (١٨٥٣م) السلطان عبدالمجيد الأول أمر بترميم المسجد الشريف فقام بهذا العمل خبير أرمني يدعى قرابت ، وهذا كان خبيراً ببناء القباب ، وفي عهد السلطان المذكور أصلحت بعض النقوش في المسجد الشريف ، وأضيفت إليه بعض الزخارف من داخله .

* في سنة ١٢٨٨هـ (١٨٧٤م) السلطان عبدالعزيز في عهده أعيد إنشاء قسم كبير من السقف الخشبي المثمن الأضلاع في المسجد الشريف .

* في سنة ١٢٩٢هـ (١٨٧٨م) السلطان عبدالحميد أمر بتجديد عمارة الباب الغربي ، وفرش المسجد الشريف بالسجاد العجمي الفاخر الموجود حتى الآن ، كما أمر السلطان المذكور بكتابة سورة (يس) التي ما تزال حول قبة الصخرة ، والكاتب هو الخطاط محمد شفيق ، والكتابة من نوع خط الثلث ، وهي على إفريز عرضه ٨٥سم ، وبأحرف عرض كل منها ٣ سم ، وقد طبخت حروف السورة بالقيشاني من قبل مصطفى علي أفندي .

* في سنة ١٣٥٧هـ (١٩٣٨م) سماحة مفتي فلسطين السيد محمد أمين الحسيني رمم ما فسد بفعل الزمن من المسجد الشريف بالتعاون مع وزارة الأوقاف المصرية في عهد الملك السابق فاروق الأول التي أوفدت المهندس محمود أحمد باشا ، وشملت الترميمات تجديد ميازيب المسجد واللحامات التي تشد صفائح الرصاص في المواطن التالفة ، وفي عهد السيد محمد أمين الحسيني جدد المجلس الإسلامي الأعلى عشرين نافذة داخلية من نوافذ الجبس الملون بالزجاج ، ووضع قيشاناً جديداً بدلاً من القديم التالف ، وتم تثبيت الرخام بصورة قوية في جميع أنحاء القبة .

* الملك حسين بن طلال ملك المملكة الأردنية الهاشمية ألّف لجنة دعيت «لجنة إعمار المسجد الأقصى المبارك والصخرة المشرَّفة» أعضاؤها : الشيخ محمد الشنقيطي قاضي قضاة الأردن ـ رئيساً ، والشيخ عبدالله غوشة رئيس الهيئة العلمية الإسلامية ، وحسن الكاتب

محافظ القدس الشريف والأماكن المقدسة والمدير العام للأوقاف بالأردن ، وأحد كبار التجار والملاكين في الأردن بمعاونة لجنة من الفنيين قوامها :

ـ المهندس/ حسين شافعي .

ـ المهندس/ محمد عباس بدر .

ـ المهندس/ صالح أحمد الشوربي

ـ المهندس / عبدالمنعم عبدالوهاب .

(كان المقاول الذي تعهد العمل رجل الأعمال السعودي/ محمد ابن لادن) .

وهؤلاء قاموا في المسجد بالأعمال التالية :

* تقوية القبة من الداخل بخشب جديد واستبدال الرصاص القديم بألواح من الألومنيوم المذهَّب .

* وضع هلال جديد من الألومنيوم بدلاً من الهلال النحاسي القديم ، تعلوه مانعة للصواعق صنعت من معدن البلاتين .

* تقوية أساس جدران المسجد من الخارج بالخرسانة المسلحة ، وكذلك الأعمدة والدعامات الداخلية ، وأزيلت ثلاثة أعمدة تآكلت مع الزمن ، ووضع مكانها ثلاثة أعمدة جديدة ، اثنان من الناحية الشرقية القبلية للصخرة المشرَّفة ، والثالث من الناحية الشمالية .

وجمعت نفقات هذه الأعمال من بعض ملوك العرب والمسلمين وغيرهم ومن عامة الناس .

(*) هذا المقال نشر في مجلة الوعي الإسلامي ـ العدد ٥٧ ـ رمضان ١٣٨٩هـ ـ نوفمبر ١٩٦٩م

الدفاع عن حق المسلمين

في مدينة القدس أمام الكونجرس الأميركي(*)

للدكتور : محمد عبدالرؤوف ـ واشنطن

عقدت اللجنة الفرعية للشؤون الخارجية الخاصة بشؤون الشرق الأوسط بالكونجرس «البرلمان» الأميركي جلسة خاصة في ٢٨ من شهر يوليو من العام الماضي ١٩٧١ لمناقشة وجهات النظر للأديان الثلاثة : اليهودية ، والمسيحية ، والإسلامية بشأن مشكلة مدينة القدس ومستقبلها .

وقد دُعي لبيان وجهة النظر اليهودية الحاخام «مارك تاتينباوم» مدير قسم العلاقات الدينية باللجنة اليهودية الأميركية ذات النفوذ الواسع بأميركا ، وهو متحدث صهيوني متعصب ، وقد دعا إلى بقاء المدينة (موحدة) تحت الحكم الإسرائيلي .

كما دعا كل من الدكتور (جيمز كريتستيك) أستاذ التاريخ واللغات الشرقية بجامعة أنديانا وعميد المعهد العالي للدراسات اللاهوتية بالجامعة المذكورة ، والأب (يوسف ريان) الأستاذ بمركز الدراسات الاجتماعية في كامبردج بولاية «ماساتشوسيت» حينئذ ووكيل دار المحكمة ببغداد سابقاً والمعروف بميوله المؤيدة للقضايا العربية ـ لبيان وجهة النظر المسيحية ، وقد أيدا فكرة تدويل مدينة القدس ، وحضا حكومة الولايات المتحدة على أن تتخذ موقفاً عادلاً تجاه القضية الفلسطينية .

ودُعي صاحب هذا المقال لبيان وجهةالنظر الإسلامية وقد حض على وجوب عودة المدينة للحكم الإسلامي .

وجهت إلينا الدعوة في النصف الأخير من شهر يوليو على أن تعقد الجلسة في ظهر الأربعاء ٢٨ من الشهر المذكور ، وعلى أن يقدم كل منا

مذكّرة من خمسين صورة تحتوي على وجهات نظره إلى سكرتيرية اللجنة قبل موعد الجلسة بثلاثة أيام .

وقد عقد الاجتماع في الوقت المحدد في جلسة علنية بإحدى القاعات الكبرى بمبنى الكونجرس برئاسة رئيس اللجنة وعضو الكونجرس عن ولاية «إنديانا» واسمه : «لي هاملیتون» ، وبعد كلمة ترحيب منه لخص كل منا ما ورد بمذكرته ، بدأ الحاخام اليهودي ، وتلاه الممثلان المسيحيان ، وقد تقدما بمذكرة مشتركة ، ثم تلا ذلك تلخيص لوجهة نظري ، وقد اتبع في المذكّرة الترتيب التاريخي لظهور الأديان الثلاثة .

وعقب ذلك بدأت المناقشة التي استمرت مدة ثلاث ساعات وجهت فيها إلينا الأسئلة من جانب أعضاء اللجنة ، وقد جمعت هذه المذكرات الثلاث ونص المناقشة التي تلتها ، ومعها بعض خطابات بعث بها بعض المعنيين إلى اللجنة ، في كتاب طبعته حكومة الولايات المتحدة .

***

وتفضل رئيس تحرير مجلة «الوعي الإسلامي» ودعاني لبيان وجهة نظري عن القدس في عدد شهر رجب الخاص بذكرى الإسراء والمعراج ، وحيث إن الإسراء كان إلى مدينة القدس ، ومنها بدأت رحلة المعراج ، فقد عنّ لي أن أوافي القراء بترجمة عربية لنص المذكّرة التي تقدمت بها إلى اللجنة المذكورة ، متبوعة بترجمة لبعض الأسئلة التي وُجهت إلى بعض أعضاء اللجنة والإجابة عليها ، وفيما يلي ترجمة المذكرة مع قليل من التصرف :

أيها السادة :

إنه ليسعدني أن تُهيأ لي الفرصة لأتحدث في هذا الاجتماع الجليل وأناقش موضوعاً له خطورته العالمية ، «أعني مشكلة مدينة القدس ووضعها ومستقبلها» ، وسأحاول أن أشرح في حديثي أهمية هذه المدينة العريقة للمسلمين ، وأناقش وجهة النظر في مستقبل هذه المدينة البالغة الأهمية للأديان الثلاثة .

حرمة الممتلكات الإسلامية وقدسية التراث الإسلامي

إن أهمية مدينة القدس لنا معشر المسلمين نابعة من الحقائق التالية :

أولاً : حرمة الممتلكات الإسلامية ، فالشريعة الإسلامية تجعل لملكية المسلم نوعاً من الحرمة والقداسة ، وتفرض على المالك الدفاع عن ملكه إذا حاول أحد الاعتداء عليه ، أما ما يعتبر وقفاً لصالح المسلمين بصفة عامة كعقار بني عليه مسجد للعبادة فإن حرمته وقداسته أعظم وأعلى درجة من حرمة الملك الشخصي ، والدفاع عنه فرض محتم على المسلمين ، وأي عدوان على حرمة أي مكان من الأماكن المقدسة يثير عاطفة المسلمين ويجرح شعورهم .

وإذا كان الإسلام يؤكد حرمة الممتلكات الإسلامية ، فإنه في الوقت نفسه يؤكد حرمة انتهاك أماكن العبادة الخاصة بغير المسلمين ، كما يحرِّم العدوان على ممتلكاتهم بغير حق ، ومن أفضل المواقف التي تدل على مراعاة المسلمين لحرمة الأماكن المقدَّسة لدى غيرهم ما يحكى عن سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ الخليفة الثاني وفاتح القدس الذي آثر أن يؤدي شعيرة الصلاة خارج الكنيسة عندما وجب وقتها وهو بداخلها ، وكان قد دُعي لأدائها حيث كان هو فاعتذر ، لأنه خشي أن

تدَّعي الأجيال اللاحقة حقها في الكنيسة إذا أدى خليفتهم صلاته بداخلها .

حرمة المدينة المقدَّسة

ثانياً : إن حرمة مدينة القدس وقدسيتها لا يعادلها إلا قدسية مكة المكرمة التي بها بيت الله الحرام ، والمدينة المنورة التي هاجر إليها النبي عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، وتنبع حرمة بيت المقدس التي لا حد لها من المكانة الخاصة التي تتميز بها هذه المدينة في تاريخ الإسلام وعقيدة المسلمين .

إننا ـ معشر المسلمين ـ نؤمن بالأنبياء السابقين ونحبهم ونحترمهم ، نؤمن بإبراهيم وإسحاق كما نؤمن بإسماعيل وموسى وعيسى ، فهم رسل الله وأحباؤه ، دعوا إلى الإيمان به ، إلى عبادته وحده ، كما دعا إلى ذلك نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وإن دين الإسلام جاء ليحدد العقيدة الصحيحة التي جاء بها هؤلاء الرسل من قبل ، كما رد إلى كثير منهم اعتبارهم ، وأعلن طهارتهم ، وشرف شخصيتهم بعد أن دنستها الادعاءات التي وردت في النصوص الدينية القديمة المحرَّفة ، فداود وسليمان لا يعتبران في الإسلام ملكين فحسب معرضين لارتكاب ما لايليق برجل عادي ، بل هما كذلك من خيرة الأنبياء والرسل والمعصومين من الدنايا وعظيم الزلل .

ومن مظاهر حرمة الأمم السابقين لدى المسلمين أن كتابهم الكريم يقص في أسلوب بليغ جميل يثير العطف على بني إسرائيل ما لقي هؤلاء من الاضطهاد وصنوف العذاب على يد فرعون وقومه ، ويروي كيف خلَّصهم الله تعالى بقيادة سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ ، كما

يقص القرآن مولد السيدة مريم وتعبدها في المحراب وكيف طهَّرها الله واصطفاها على نساء العالمين ، ثم كيف حملت بعيسى ـ عليه السلام ـ كما يروي قصة مولده ورسالته وما ظهر على يده من معجزات ، ثم كيف اضطهد فوقاه الله وخلَّصه من يد الآثمين .

وإن كثيراً من المسلمين ليؤثرون أن يسموا بناتهم باسم «مريم» كما أن كثيراً منهم يسمون أبناءهم بأسماء بني إسرائيل كإسحاق ، ويعقوب ، ويوسف ، وهارون ، وداود ، وسليمان ، وموسى ، وعيسى .

ونظراً لهذه العلاقات المقدَّسة المباركة التي تربط المسلمين بهؤلاء الرسل الكرام الذين عاشوا وتعبدوا ووعظوا واضطهدوا في سبيل الله على أرض مدينة القدس ، فإن هذه المدينة وتربتها وحجارتها اكتسبت من الحرمة والقداسة لدى المسلمين درجة ذات أعماق بعيدة في نفوسهم ، وخصوصاً تلك المنطقة من المدينة التي تسمى «الحرم الشريف» الذي باركه الله تعالى .

محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبيت المقدس

ثالثاً : لقد كان الإسراء بنبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى بيت المقدس قبيل هجرته إلى المدينة بمثابة خاتم رباني ربط الماضي بالحاضر ، وبارك هذه الصلة المقدَّسة وأكدها ، ووصل بين التراث الإبراهيمي ورسالة خاتم النبيين ، لقد أكدت تجربة الإسراء والمعراج مفهوم الأخوة في العقيدة مع الأديان السابقة ، وكان من مظاهر ذلك أنه لما فرضت الصلوات الخمس جعلت مدينة القدس قبلة للمسلمين في صلاتهم ، وإذا كانت القبلة قد تغيَّرت فيما بعد ، وجعلت إلى البيت الحرام بمكة ، فقد احتفظت مدينة القدس بقيمتها التاريخية كقبلة أولي للمسلمين .

القدس شعيرة من شعائر المسلمين

رابعاً : ومنذ الفتح الإسلامي لمدينة «القدس» فإنها أصبحت محط أنظار المسلمين ، واتجهت آمالهم لزيارتها والتعبد فيها كشعيرة عظيمة من الشعائر الإسلامية ، وأكد ذلك ما ورد عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من قوله : «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، مسجدي هذا ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى» ، بل إن زيارة بيت المقدس كانت قد أصبحت عادة لدى بعض المسلمين يؤدونها بعد الفراغ من أداء فريضة الحج ، وكانت فريضة الحج لديهم لا تكمل إلا بأداء هذه الشعيرة ، ولا غرو فإن المسلم حين يزور بيت المقدس ويرى مشاهدها ترجع ذاكرته إلى البركات التي تجلت لإبراهيم ـ عليه السلام ـ ، والأرض المقدَّسة التي كان يرجو موسى أن يدخلها وحرض قومه على دخولها فجبنوا وأبوا ، وإلى عصر المدينة الذهبي أيام داود وسليمان عليهما السلام ، وإلى عهد مريم وزكريا والمحراب ومولد عيسى ومعجزاته وكفاحه ، يذكر خطوات سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبراقه ليلة أسري به إلى بيت المقدس وحشد للترحيب به سبعة من الأنبياء والمرسلين .

القدس مثابة لأهل التقوى من المسلمين

خامساً : ونظراً لما ورد من فضل المدينة وفضل العبادة بها ، فإنها أصبحت على مدى العصور الإسلامية مأوى للصالحين والعلماء ممن آثروا الحياة بها ، ولقاء ربهم على أرضها ومواراة رفاتهم في بطن ترابها ، كان من بين هؤلاء عدد من صحابة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، كما كان من بينهم عدد من جلَّة العلماء وخيرة الكتَّاب ، ومن أشهر من أقام بهذه المدينة الخالدة أبو حامد محمد الغزالي الذي عاش في القرن

السادس الهجري ، وقضى بها ردحاً من الزمان ، ولقى بها تجاربه الروحانية المثيرة ، وكتب بها بعضاً من أشهر مؤلفاته وأعظمها أثراً على التفكير الإسلامي منذ عصره وقد أنشأ كثير من ذوي الثراء من المسلمين على مدى الأجيال المؤسسات الخيرية بالمدينة وجعلوها وقفاً ثابتاً للتيسير على الوافدين إلى المدينة المقدَّسة بغرض الدراسة أو النسك ، والحقيقة أن تراب هذه المدينة يختلط بدماء الآلاف من الشهداء المسلمين ، كما يختلط برفات من لا حصر لعددهم من العلماء والأولياء وأهل الخير من المسلمين . !!

وإن إقبال المسلمين على المدينة المقدَّسة وغيرتهم عليها لم يعن حرجاً أو خطراً على أهل الكتاب بها أو عدواناً على حرماتهم أو حرمة دور عبادتهم بحال ، فما زال المسيحيون ينعمون بحياة رغدة بها ، ولم تنقطع وفود الحجيج من المسيحيين إليها دون حرج أو عراقيل ، كما سمح لليهود بالعودة إلى المدينة بعد إبادتهم منها وحظر زيارتهم لها نحواً من ستة قرون قبل الفتح الإسلامي .

الحل الشرعي لمشكلة القدس القائمة

وإنني لعلى ثقة وإخلاص أن الحل الشرعي لمشكلة القدس ـ وهو الحل العملي الوحيد ـ هو إعادتها لصفتها الإسلامية كاملة ، وللحكم الإسلامي غير منقوص ، أعلن ذلك وأثبته بناء على الحقائق التالية :

الإسلام يخدم سائر الأديان السماوية

أولاً : يعترف المسلمون باليهودية ، والديانة المسيحية كدينين لهما أصلهما الصحيح ، ولا يؤمن اليهود ولا المسيحيون بالإسلام ، بل يزعم كثير منهم أن الإسلام مشتق منهما ومفروض عليهما .

يعترف الإسلام الذي ظهر على يد سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ منذ أربعة عشر قرناً مضت بشرعية الأديان السماوية السابقة كلها ، ويحمل أتباعه على التسامح مع أتباع ما بقي من هذه الأديان وحقن دمائهم واحترام حقوقهم ، ولقد كان ظهور الإسلام تجديداً للدين الذي بعث به الأنبياء السابقون ، وتصحيحاً للتحريفات التي أدخلت عليه . كما كان كل رسول يأتي ليجدد العقيدة الإلهية السليمة التي جاء بها الأنبياء من قبله ، ويزيل عنها ما ألمَّ بها من تحريفات إنسانية ، ولا يسوغ القول : إن المسيحية مشتقة من اليهودية ، ولا إن الإسلام مشتق من كليهما ، كما يزعم ذلك المغرضون ومن لادراية له بمفهوم النبوة ومفهوم الوحي الإلهي ، ولم يكن الأنبياء والمرسلون عليهم السلام فلاسفة يبتكرون عقيدتهم أو ينقلونها عمن سبقهم ، بل كان يوحى إليهم برسالاتهم مؤيدين بالآيات والمعجزات .

ولما كان الإسلام يرعى حرمة اليهودية والمسيحية أكثر مما قد يرعى أحدهما الإسلام ، كان للإسلام ـ دونهما ـ حق شرعي واضح في الائتمان على حرمتهما ، وحرمة معابدهما ، وحقوق أتباعهما .

الإسلام وأهل الكتاب

ثانياً : وبالإضافة إلى اعتراف الإسلام باليهودية والمسيحية ، فإنه يشرف أتباعهما ويصفهم بأنهم «أهل الكتاب» تمييزاً لهم عن الوثنيين ، وينص القرآن الكريم على أن من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً ، فلهم ـ كالمسلمين ـ «أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون» ، كما يحض الإسلام على معاملتهم بالحسنى ، وعلى حقن دمائهم ، واحترام أموالهم ودور عبادتهم .

وبهذه المناسبة نشير إلى الإهانة التي كان يعامل بها عمداً موضوع الهيكل قبل الفتح الإسلامي نكاية في اليهود وكيداً لهم ، فقد كانت تلقى فيه القمامات والأقذار ، ولكن كان أول عمل قام به الفاتح الإسلامي الخليفة العادل عمر بن الخطاب بعد أن أبرم معاهدة الصلح مع بطريرك المدينة هو أنه استفسر عن مكان الهيكل حتى تعرف عليه كما وصفه له حبيبه محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فأمر بإزالة ما عليه من أكوام القاذورات ، واشترك بيده هو ومن معه في إزالتها ، ثم أمر بإقامة سور حول المكان المقدَّس ومنع إهانته بحال من الأحوال ، وبعد قليل شيدت حوله المساجد ، وأقيمت فوقه قبة الصخرة الخالدة التي تعتبر من أعظم الآثار الإسلامية .

أين ذلك مما نسمع من هدم المساجد وأوقاف المسلمين وتسويتها دون مبالاة ، وما حدث من إهانة للمسجد الأقصى ، وما يحدث ببيوت عبادة المسلمين مما يجرح مشاعرهم ويتنافى مع تقاليدهم؟ فأي الفريقين أولى بالولاية على تراث الأديان الثلاثة بالمدينة؟

الوجود العربي بالمدينة المقدسة

ثالثاً : إن الوجود العربي في القدس وبفلسطين كلها قديم وخالد وغير منقطع ، فهو ليس كالوجود اليهودي الذي يزعم الصهيونيون زوراً أنه كان كذلك ليبرروا بذلك حقاً تاريخياً لهم في البلاد ، فقبل أن يصل العبرانيون إلى أرض فلسطين كانت تلك البلاد معمورة بقبائل الكنعانيين واليبوسيين ، وكلها مشتقة من أصل عربي هاجر من قلب الجزيرة ، بل كان مؤسس مدينة القدس أحد ملوك اليبوسيين وذلك قبل أن يفتحها اليهود بآلاف السنين ليقيموا بها سلطانهم أيام داود وسليمان ـ عليهما السلام ـ ، على أن مجد اليهود بالمدينة لم يكن طويل الأمد بل

أبيد بالمرة ، كما محيت كل آثارهم بها قبل الفتح الإسلامي بما يقرب من ستة قرون ، ولذلك فليس صحيحاً ما يُقال من أن الوجود العربي بدأ بالفتح الإسلامي في القرن السابع الميلادي ، ولكننا نعلم أن كل هذه المنطقة بما فيها فلسطين كانت تحت حكم قبيلة عربية وقت الفتح الإسلامي ، أعني دولة الغساسنة ، ولقد كان اليهود ـ كما ذكرنا من قبل ـ محرومين من حق دخول المدينة المقدسة قروناً قبل الفتح الإسلامي ، وحرص البطريرك «سوفونيوس» في الاتفاق الذي أبرمه مع الخليفة عمر ابن الخطاب على أن ينص على استمرار هذا الحظر ، ولكن المسلمين فيما بعد نظراً لما جبلوا عليه من عدالة ومعاملة إنسانية ـ رفعوا هذا الحظر ، وتساهلوا مع اليهود الراغبين في زيارة المدينة أو في الإقامة بها .

ومن هذا يتضح أنه منذ آلاف السنين وقبل مجيء العبرانيين لم يكن هناك وجود يهودي بفلسطين أو لأصولهم ، بينما كان العنصر العربي يغمر البلاد ، كما مُحي الوجود اليهودي من المدينة المقدَّسة قروناً قبل الفتح الإسلامي .

وأما شأن ما يسمى بجدار المبكى فهو في نظري أسطورة حديثة العهد نمَّاها الصهيونيون كي يتخذوا منها قاعدة دينية عاطفية ليجمعوا قلوب اليهود حولها من أجل أهدافهم السياسية وغير السياسية ، ولو كان لجدار المبكى أصل عريق في اليهودية لما خلت دائرة المعارف اليهودية الصادرة في مطلع هذا القرن من مقال خاص عنه ، بينما برز ذلك في الطبعات التالية بعد أن اكتسبت أهمية بالغة على يد الصهيونيين ، ومع ذلك فإن هيئة عالمية محايدة كونتها عصبة الأمم أيام الانتداب البريطاني ، وليس بين أعضائها مسلم ، قررت في ١٩٣٠م بعد إجراء بحوث طويلة وتحقيقات واسعة أن ما يسمى بحائط المبكى

وقف إسلامي محض ، وجزء لا يتجزأ من المسجد ، وكذلك الرصيف المجاور له والواقع بينه وبين مساكن المغاربة التي هي وقف إسلامي أيضاً ؛ ومن المؤسف أنه من دون مراعاة لحرمة هذه الأوقاف طرد منها سكانها في لحظات عقب حرب ١٩٦٧م ، وهدمت فوراً لإفساح الميدان حول المبكى .

وبما أن الوجود العربي بالمدينة المقدَّسة أقدم وأعرق وأدوم فحق العرب التاريخي فيها وفي فلسطين كلها أثبت ، وأقوى ، وأعرق مما يدعيه غيرهم .

احترام المسلمين للأماكن المقدسة

رابعاً : وإن احترامنا معشر المسلمين لحرمة اليهود والمسيحيين ومعابدهم أمر لا ندَّعيه كوسيلة من وسائل الدعاية للتمويه على العالم ، كما يفعل خصومنا ، بل هو أمر عميق في نفوسنا ومشتق من تعاليم ديننا ، وإن ماضينا والأحداث التاريخية لتبرهن على صحة دعوانا ، فلقد ذكرنا من قبل كيف ازدهرت المسيحية بالمدينة المقدسة في ظل الإسلام ، وكيف رفع الحظر على دخول اليهود والإقامة بها ، كانت هذه المعاملة الكريمة التي اتصلت قروناً ودهوراً في عصور عرفت بالتعصب والاضطهاد الدينيين خارج الوطن الإسلامي ، ولقد أقيم بالمدينة في عصر هارون الرشيد أروقة واستراحات لإقامة الحجاج المسيحيين ، كما أُذن للراهبات بالقيام على خدمة الكنائس والمعابد بها ، ولقد ظلت سدانة كنيسة القيامة بالمدينة المقدَّسة بين عائلة إسلامية طوال القرون السابقة حتى الاحتلال الإسرائيلي الغاشم ، وبالرغم من وحشية الصليبيين وذبحهم الآلاف من المسلمين واليهود بالمدينة عندما احتلوها في أثناء الحروب المعروفة باسمهم ، فإن المسلمين لم ينتقموا منهم بعد

أن استرد الإسلام سلطانه عليها وطهّر المدينة منهم ، بل إن القائد الراشد صلاح الدين سمح بدخول المدينة للحجاج من جيوش العدو ، بينما كانت الحرب لا تزال سجالاً ! وفي عام ١٤٧٣ كانت فلسطين بما فيها مدينة القدس تحت سلطان مصر قايتباي ، اكتشف المسلمون أن اليهود شيَّدوا سراً معبداً لهم بالمدينة ، فاعتدى عليه بعضهم ، فلما سمع بذلك السلطان أنزل العقاب بالمعتدين وأعاد بناء المعبد وأعطى اليهود بذلك لأول مرة حقاً «رسمياً» في تشييد معابدهم بالمدينة منذ أبيدوا من المدينة على يد «طيطس» في العام الميلادي الأول .

قارن هذه الصفحة الناصعة من أعمال الإسلام المجيدة بما أصاب المسلمين في الأرض المقدسة على يد إخوانهم من «أهل الكتاب» ، لقد سجل التاريخ صفحات مخزية للصليبيين الذين نقضوا العهود وسفكوا دماء عشرات الآلاف عندما احتلوا البلاد دون رحمة أو هوادة ، وارتكبوا في اضطهادهم من المخازي ما يندى له الجبين ! ثم ماذا صنع اليهود مذ احتلوا مدينة القدس القديمة العزيزة عام ١٩٦٧م؟ رفعوا أعلامهم فوق مآذننا وسطوح مساجدنا ، ودمروا الكثير من بيوت الله وأوقافنا الشرعية ، وأقاموا صلاتهم على أرض المسجد الأقصى أول القبلتين وثالث الحرمين ! ويسروا لمن شب النار في المسجد عمداً من عملائهم وصدعوا جدرانه بالحفريات التي يجرونها تحته بلا هوادة رغم احتجاجات المسلمين الصارخة ، وطردوا السكان من ديارهم ـ مسلمين ومسيحيين ـ بشتى وسائل الضغط والتعسف «ليهوِّدوا» المدينة ويشيِّدوا حول الأماكن المقدَّسة حلقة كبيرة من المساكن ليقطن بها المجلوبون من اليهود من خارج البلاد ، لا يبالون بغضب الرأي العالمي ولا بنداءات هيئة الأمم المتحدة . ! .

وبالرغم من كل هذه الأعمال المثيرة فإننا لم نسمع عن عمل من أعمال الانتقام كالاعتداء على بيعة يهودية في بلد عربي كمصر ، أو عدوان على جالية يهودية انتقاماً من أعمال إسرائيل الإجرامية ضد إخواننا العرب في فلسطين وانتهاكهم حرمة المسجد الأقصى ، وغيره من المساجد ، وإهانة لأضرحة الصحابة والأولياء وانتهاك حرمة المقابر الإسلامية ، ورغم هذا فإن أبواق الصهيونية التي لا تستحي ولا تخمد تقلب الباطل حقاً وتحول الحق باطلاً فتسمي أي إجراء يتخذ كنتيجة حتمية لأعمال الصيهونية الرهيبة بغير ما ينبغي أن يسمى به وتصفه على غير حقيقته ، فإذا حُجز على أحد عملائهم احتياطاً لأمن الدولة مثلاً جُسِّم ذلك وسُمِّي اضطهاداً دينياً ضد اليهود ، وإذا هاجر يهودي من بلد عربي اختياراً كما يهاجر غيره زعم أن هذا طرد إجباري من البلاد ، أما أعمالهم الوحشية فيختلقون لها أسماء وأوصافاً لا تجدر بها ، كما يسمون أعمال الإجرام التي سبقت قيام إسرائيل «حرب الاستقلال» ويسمون اغتصابهم للجزء الشرقي من المدينة «توحيداً» لمدينة القدس وضماً لشملها ! .

ومن هذا يتضح أن المسلمين ـ وصفحاتهم التاريخية مجيدة ناصعة ـ أجدر بالولاية على المدينة المقدَّسة .

ولا يسوغ اغتصاب حق مكتسب لم يُسأ استعماله

خامساً : ومنذ أن استولى العرب على القدس عام ٦٣٧م ، فإنهم لم يسيئوا استعمال سلطانهم ، وكان العنصر العربي المسلم هو العنصر الغالب بين السكان لقرون مديدة ، فاكتسب العرب بذلك حقاً لم يثبت التاريخ أنهم أساءوا استعمالة ، والحق المكتسب على مدى القرون دون أن يساء استعماله لا يجوز اغتصابه ، ولذلك لا يسوغ الخلاف على

وجوب إعادة الحكم الإسلامي على البلاد ، والزعم بأن فلسطين لم تكن يوماً ما وحدة سياسية وحدها مستقلة ذات سيادة ـ مما يتشدق به الصهيونيون ، لا يبرر اغتصاب هذا الحق بحال ، فإن فلسطين كانت على مدى العصور جزءاً من الامبراطورية الإسلامية الكبرى ذات السيادة ، ولا يهم إذا كان مقر الخليفة أو السلطان المدينة المنورة أو الكوفة أو دمشق أو القاهرة أو بغداد أو استانبول ، كان سكان فلسطين يتساوون في الحقوق المدنية كلها مع سائر المواطنين في الدولة الكبرى من الخلافة أو السلطنة الإسلامية . .

التعايش الإسلامي

سادساً : وقد أثبت التاريخ أن المسلمين ـ أكثر من غيرهم ـ أمة تتعايش مع غيرها من الأمم في ظل العدالة والمساواة ، وبخاصة عندما يكون السلطان والدولة بأيدي المسلمين ، وإننا لنعلم أنه تحت الحكم الإسلامي أُتيح لغير المسلمين من مواطني الدولة الإسلامية الفرص الكاملة للوصول إلى المناصب التي خولتها لهم مؤهلاتهم ، ومنحوا الحرية الكاملة في مزاولة أعمالهم ومهنهم ، دون ضغوط أو عراقيل في طريقهم ، ولقد شغل الكثير من أهل الكتاب ـ يهوداً ومسيحيين ـ مناصب مسؤولة في شتى عصور الخلافة ، وازدهرت الكتابة الدينية ودراسة اللاهوت بينهم ، ولقد بلغ الإنتاج اليهودي في مجال الدراسات الدينية والفلسفية أوْجَهُ على يد علماء وفلاسفة شغلوا مناصب مرموقة في بلاط خلفاء المسلمين وملوكهم من أمثال موسى بن ميمون ، وأثمن التراث اليهودي كتب بلغة القرآن الكريم ، ولا يكنّ المسلمون حقداً أو بغضاء لغيرهم ، ولا ينسبون لأنفسهم فضلاً ذاتياً أثروا به على غيرهم ، فلا يزعمون أنهم شعب الله المختار ، وإنما يعتقدون

أن أفضل الناس أتقاهم ، وليس صحيحاً ولا عدلاً أن يُتهم العرب أوالمسلمون بأنهم أعداء للسامية بالمعنى الذي اختلقه الصهيونيون وجعلوه سلاحاً مسموماً رهيباً يرمون به من يجرؤ على نقد أعمالهم ، وكثير من العرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم ـ عليهما السلام ـ .

ومن يثبت التاريخ أنه يتعايش مع الناس على أساس المساواة والعدالة دون ظلم أو تعسف أولى بالولاية والائتمان على الأماكن المقدسة من سواه .

ميثاق الأمم المتحدة وإعلان حقوق الإنسان

سابعاً : وإن فرض أي سلطان غير سلطان المسلمين على الأرض المقدسة ليعتبر انتهاكاً لحق تقرير المصير المنصوص عليه في ميثاق هيئة الأمم المتحدة وإعلان حقوق الإنسان ؛ ومن المعروف أن العرب كانوا الأغلبية العظمى لسكان فلسطين والمدينة المقدسة حتى اغتصبها الصهيونيون ، وكان كبير السلطة في المدينة المقدسة عربياً مسلماً .

***

أيها السادة :

وإنني في ختام حديثي ـ إذ أكرر شكري وتقديري لمنحي هذه الفرصة لأشرح لكم ولقراء الوعي الإسلامي بعض الحقائق الناصعة الواضحة عن مشكلة بيت المقدس التي أصبحت بسبب موقف الصهيونيين العنيد حالة تنذر بالخطر الجسيم ـ لأرجو الله تعالى مخلصاً أن يوفق ذوي النوايا الطيبة أن يتعاونوا على إعادة الحق إلى نصابه على أساس العدل والإنسانية كي تتجنب البشرية ما ينذر به الوضع الحالي من خطر نزاع ديني لا يعلم مدى آثاره إلا الله تعالى .

وفيما يلي نموذج للأسئلة التي وجهت في أثناء المناقشة من بعض أعضاء اللجنة ، وكلهم أعضاء في الكونجرس ، ومنها يظهر للقارئ تعصب هؤلاء رغم أن المفروض فيهم غير ذلك .

السيد ليسترل . وولف : لقد ذكر الدكتور عبدالرؤوف والأب ريان أنهما لا يعتبران الاحتلال العسكري سبباً شرعياً يبرر حكم الدولة الغالبة ، فكيف يبرران حكم الأردن للقدس الشرقية منذ عام ١٩٤٨م إلى ١٩٦٧م؟ ألم يكن ذلك نتيجة احتلال عسكري من قبل قوات الملك عبدالله؟

السيد رئيس اللجنة : تفضل يا دكتور عبدالرؤوف .

الدكتور عبدالرؤوف : إنني لا أعتبر حكم الأردن للقدس الشرقية منذ عام ١٩٤٨م احتلالاً أو اغتصاباً عسكرياً ، فإنه بجلاء حكومة الانتداب البريطاني عن فلسطين كلياً في ١٥ مايو ١٩٤٨م وتخليها عن سكانها وعن سكان مدينة القدس في وقت كانت تتحفز فيه العصابات اليهودية الوحشية لشعب فلسطين الأعزل ، حدث فراغ إداري وعسكري تام ، فانتهزت إسرائيل الفرصة وشنت هجوماً عنيفاً على المدينة القديمة تريد احتلالها بالقوة ، فصدتها قوات الملك عبدالله ، وبدلاً من أن تترك حكومة الأردن المدينة المقدَّسة دون دولة تحميها وتدير أمورها فتغتصبها إسرائيل ، فقد تولت حكومة الأردن الإسلامية العربية إدارة المدينة الإسلامية العربية ريثما يحين الوقت لإجراء انتخاب يعبر فيه الأهالي عن رغبتهم .

السيد وولف : وهكذا احتلت الأردن المدينة القديمة عسكرياً؟

الدكتور عبدالرؤوف : أتسمي هذا احتلالاً عسكرياً يا سيد وولف؟

السيد وولف : الذي أريد أن أقوله لك هو أن الوضع الحالي من حيث الحكم الإسرائيلي للجزء الشرقي من المدينة هو الوضع نفسه عندما كانت تحت حكم الأردن ، فكل منهما نتج من احتلال عسكري ، فإن قرار هيئة الأمم تقسيم فلسطين لم يعط الأردن الجزء الشرقي من المدينة ، أليس هذا صحيحاً؟

الدكتور عبدالرؤوف : وهل أعطى قرار التقسيم إسرائيل الجزء الآخر من المدينة الذي اغتصبته؟

السيد وولف : إنني لا أناقش ذلك مطلقاً ، ولكنني أتحدث بشأن احتلال الجزء الشرقي من المدينة .

الدكتور عبدالرؤوف : ينبغي أن يعتبر ذلك في سياق القرائن العامة المتصلة بالموضوع ، لا أن يناقش كمسألة فرعية معزولة عما يقارنها من خلفية المشكلة الفلسطينية كلها وما صاحب قيام إسرائيل من خراب ودمار وعدوان .

السيد وولف : إننا نتحدث الآن بشأن مدينة القدس وحدها وعن موضوع احتلال عسكري ، إنني ـ مثلكم ـ لا أوافق على احتلال عسكري لمنطقة أو لأخرى ، ولكن يجب أن نأخذ في الاعتبار جميع العناصر المتعلقة بالموضوع ، وأحد هذه العناصر هو أن حكومة الأردن لم تعط المدينة القديمة في مشروع التقسيم ، ولكنها احتلتها عسكرياً ، هذا هو السؤال الذي أرجو الإجابة عليه .

الدكتور عبدالرؤوف : يا سيد وولف ، ينبغي أن نأخذ في الاعتبار أن سكان المدينة رحبوا بالحكم الأردني العربي الإسلامي وقبلوه عن رغبة ورضى .

السيد وولف : وبعبارة أخرى إنك لم تحتج على الاحتلال الأردني للجزء الشرقي من المدينة في ذاك الوقت ، ولكنك تحتج الآن على الاحتلال الإسرائيلي ؟

الدكتور عبدالرؤوف : إنني لا أحتج على الحكم الأردني لأنه كان برضى الأهالي ، ولأن الأردنيين جزء من الشعب العربي الكبير ، فحكمهم للمدينة لم يكن احتلالاً أجنبياً في الحقيقة ، بل أشركوا في الحكم ـ على ما أعتقد ـ سكان المدينة ، ولم يعان السكان تحت الحكم الأردني طرفاً مما يعانونه في الظروف الحاضرة من سفك الدماء والطرد والتشريد واغتصاب الممتلكات وانتهاك حرمة الشعائر الدينية .

سيد جوناذن ب . بنجهام : لقد قمت بزيارة لإسرائيل في هذا العام وشاهدت الكثير مما يجري هناك ، ولمست أن الحالة هناك آمنة إلى حد كبير ، ولم أشهد بوليساً أو جنوداً إسرائيليين في الأماكن التي زرتها مثل رام الله وبيت لحم ، ولقد تحدثت إلى عدد من كبار الجاليات المسيحية هناك فوجدتهم ـ وإن لم يكونوا في صالح الحكم الإسرائيلي ـ لا يشكون من أعمال التعسف التي تزعمها بعض هيئات الأمم المتحدة ولا يعانون أي نوع من الضغوط أو التعصب أو الاضطهاد .

الدكتور عبدالرؤوف : السيد الرئيس : أرجو الإذن بتوجيه سؤال للسيد العضو المحترم .

رئيس الجلسة : لا يسمح بتوجيه أسئلة إلى أعضاء اللجنة ، لأن المفروض أن نسمع منكم وأن توجه لك الأسئلة ، ولكنك يمكنك التعليق على أي شيء يُقال .

الدكتور عبدالرؤوف : يقول السيد العضو المحترم : إنه خرج من

زيارته لإسرائيل هذا العام بانطباعات طيبة ، فيزعم أن الأمن مستتب والأوضاع مستقرة ، وأن الرضا والارتياح ملموسان بين الجاليات المسيحية هناك ، وإنني لأتساءل : أكانت زيارته قصيرة خرج منها بانطباعات عاجلة كان يمكن أن تتغير لو أنها طالت مدة كافية؟ وهل ذهب كمواطن عادي يلتقي بمن يصادفه ، أم أنه ذهب كزائر كبير من أعضاء الكونجرس الأميركي يرافقه مندوب من الحكومة الإسرائيلية يرتب حركاته ومقابلاته؟ ، أما تساؤله عن الملك حسين وقوله : لو أنه أصاخ لنداء إسرائيل بتجنب الحرب عند قيامها بين مصر وإسرائيل في يونيو ١٩٦٧م لبقي الوضع القديم على ما كان عليه ، فلست أرى ذلك ، فإن نصيحة إسرائيل للملك إذا صحت فإنما كانت مكيدة عسكرية تبغي إسرائيل من ورائها التفرغ للقضاء على الجيش المصري ، فإذا حققت ذلك اتجهت بدورها إلى الملك حسين وجيشه للقضاء عليهما .

السيد سيمون ب . هالبيرون : أود الآن أن أوجه سؤالاً للدكتور عبدالرؤوف ، لقد ذكرت من الأسباب التي بنيت عليها رأيك في وجوب عودة المدينة المقدسة للإدارة العربية أن الدين الإسلامي قد أبدى تسامحاً عظيماً حيال الدينين المسيحي واليهودي وأماكنهما المقدسة ، فهل يمكنك أن تبرر رفض حكومة الأردن طلبي تأشيرة عام ١٩٦٠ لزيارة المبكى مع إنني عضو في الكونجرس الأميركي؟ وكان ذلك الرفض بسبب ديانتي «اليهودية» ، لقد كان ذلك أمراً مخزياً ، وإنه ليتعارض مع زعمك أن الحكم الإسلامي كان متسامحاً .

الدكتور عبدالرؤوف : لقد ذُكر في هذه الجلسة ، أنه لم يسمح لليهود بزيارة أماكنهم المقدَّسة في القدس خلال التسعة عشر عاماً من الحكم الأردني للمدينة ، بل قيل إنه لم يسمح حتى للمسلمين داخل

إسرائيل بزيارتها في أثناء هذه الحقبة ، وذكر أن الحظر كان شاملاً لجميع اليهود ، وذكرتم أنكم منعتم بسبب دينكم .

وأود أن أقرر في بداية الأمر أنني هنا لأبين وجهة نظري في وضع المدينة المقدَّسة ومستقبلها كمسلم ، لا لأدافع عن إجراء اتخذته حكومة عربية أو إسلامية معاصرة ، ومع ذلك فإن من الضروري ألا نناقش جزئية منعزلة عن قرائنها وخلفيتها ، وخلفية هذا الإجراء المذكور هو أن الأردن وإسرائيل كانتا في حالة حرب .

السيد هالبيرن : في حالة حرب مع إسرائيل عام ١٩٦٠؟

الدكتور عبدالرؤوف : نعم ، في حالة حرب مع إسرائيل التي اغتصبت البلاد ،وشتت العباد ، وسفكت الدماء ، واستباحت الأعراض وسلبت الأموال ، وواصلت العدوان وشن الغارات على مدن الأردن وقراها رغم الهدنة العسكرية التي كانت قائمة ، وللدولة الإسلامية أن تتخذ من القوانين والإجراءات الزمنية ما تراه ضرورياً لحمايتها وسلامة أمنها ، وإبعاد المشتبه بهم والمحتمل أن يقوموا بأعمال جاسوسية لغير صالحها أياً كان دين هؤلاء أو تبعيتهم ، وإنني لأذكر أن لجنة التوفيق التي كانت كونتها هيئة الأمم المتحدة بعد قيام إسرائيل أوصت بأن يسمح لمن شاء من المواطنين الأردنيين بزيارة أماكنهم المقدَّسة الواقعة تحت حكم إسرائيل ، وأن يسمح للإسرائيليين بزيارة أماكنهم المقدَّسة الواقعة تحت حكم الأردن ، فقبلت حكومة الأردن هذه التوصية أول الأمر ، ولكن رفضتها إسرائيل فرفضتها الأردن كمعاملة بالمثل .

وإذا لم يسمح لإسرائيلي بزيارة القدس تحت الحكم الأردني فهل سمح لمن شاء من الأردنيين بزيارة أماكنهم المقدسة داخل إسرائيل؟

ليس صحيحاً أنه كان هناك خطر عام على جميع اليهود ، فإن من أصدقائي اليهود ، من ذكر أنه زار المبكى تحت الحكم الأردني ، ولا يفوتني أن أكرر أن الحكم الإسلامي هو الذي رفع الحظر على عودة اليهود إلى المدينة المقدَّسة ومنحهم حق الإقامة بها وحرية العبادة فيها ، فأين هذا من إساءات إسرائيل وإهانتها للمقدسات الإسلامية الواقعة تحت إدارتها؟

السيد هالبيرن : إنك تنادي الآن بعودة هذه الأماكن للحكم العربي الإسلامي ، هذا هو خلاصة موقفك؟

الدكتور عبدالرؤوف : طبعاً .

السيد هالبيرن : وكيف تضمن عدم تكرار ما حدث قبل الاحتلال الإسرائيلي «يشير إلى ما يزعمه الصهيونيون ويبالغون فيه من منع اليهود من الوصول إلى حائط المبكى ، وتدمير المقبرة اليهودية ، والعدوان على البيع اليهودية بالمدينة القديمة» ، وكيف يمكنك أن تمنع تكرار مثل ذلك؟ وكيف تضمن لنا أن إدارة الأماكن المقدسة سوف تكون متسامحة عادلة؟

الدكتور عبدالرؤوف : إذا رُدَّت الحقوق المغتصبة إلى أهلها ، واتفق الجميع بإخلاص على التعايش على أساس المساواة والعدل فساد الأمن والسلام والعدالة ، فإنه ليرجى أن تتلاشى عواطف الكراهية تدريجياً وتنسى الإساءات ، وتذهب الشكوك والمخاوف ، وتصبح الأمور عادية آمنة ، وفي هذا أكبر ضمان للتسامح الديني المرغوب فيه .

(*) هذا المقال نشر في مجلة الوعي الإسلامي ـ العدد ٩١ ـ رجب ١٣٩٢هـ ـ أغسطس ١٩٧٢م

فلسطين

كيف ضاعت؟ ما هو حاضرها؟ ما هو مستقبلها؟(*)

للدكتور : علي محمد جريشة

البعض يرجع ذلك تاريخياً إلى أول مؤتمر صهيوني في بال ١٨٩٧م بزعامة تيودور هرتزل ، حيث قرر اتخاذ فلسطين وطناً قومياً لليهود ، ووضع التخطيط اللازم للتنفيذ فسار في خطين : خط دفع اليهود إلى الهجرة إلى فلسطين ، وخط البحث عن الشرعية الدولية التي تساند هذا الاغتصاب أو تستره ، وفي الوقت نفسه القوة الدولية التي تحمي هذا الاغتصاب بالقوة وبالشرعية معاً .

وتأسس البنك الوطني اليهودي لهذا الغرض . . . وتأسست معه الجمعيات اليهودية الكثيرة التي تزكي في اليهود روح الصهيونية ، وكان ذلك تنفيذاً للخط الأول . . . وبدأت الهجرة تسير في خط بياني بدأ بآلاف عدة ، وانتهى بأكثر من ثلاثة ملايين نسمة .

وفي مدينة القدس الإسلامية ـ على سبيل المثال ـ كان عدد السكان اليهود فيها سنة ١١٧٠م (في القرن الثاني عشر) يهودي واحد ، وفي سنة ١٧٥٠م في (القرن السابع عشر) صار ١٥٠ يهودياً ، وفي سنة ١٩٧٧م في (القرن العشرين) ، صار (١٤٢٠٠٠) يهودي . .

وبدأ انتزاع الأرض من أيدي أهلها بإغرائهم بالمال ترغيباً ، ثم بالتخويف والبطش أحياناً أخرى .

وسار انتزاع الأرض يأخذ خطاً بيانياً كالتالي :

في العشرينات ـ راوح المأخوذ من الأرض بين ٤٩٧ , ١٧ وسنة ١٩٢٣م جاوز إلى ١٢٤ , ١٧٦ دونماً عام ١٩٢٦م .

في الثلاثينات ـ راوح المأخوذ ما بين ٨٩٣ , ١٨ سنة ١٩٣٢م ووصل إلى ٩٩١ , ٣٦ دونماً عام ١٩٢٢ إلى ١١٤ , ٦٧ سنة ١٩٣٥م .

في الأربعينات وفي نهاية سنة ١٩٤٦ قدرت السلطات البريطانية ما يملكه اليهود مساحته ٠٠٠ , ٦٢٤ , ١ دونماً ، ومع ذلك فلم تكن تمثل غير ٧٪ من مساحة فلسطين .

وفي سنة ١٩٦٧م ـ ملكت إسرائيل كل أرض فلسطين وأضعافها .

وتحقيقاً للخط الثاني . . . كانت محاولة الشرعية الأولى مع دولة الخلافة . . . مع السلطان عبدالحميد رحمه الله . . . قيل إن هرتزل قابل السلطان عبدالحميد بنفسه .

وقيل إنه أوفد إليه وفداً من ثلاثة :

١ ـ مزراحي قرصو (زعيم اليهود في سالانيك) .

٢ ـ جاك .

٣ ـ ليون (وهما كذلك من زعماء اليهود) .

وعرضوا على السلطان عبدالحميد (في حضور تحسين باشا رئيس الوزراء) .

ـ أن يقوم اليهود بوفاء الديون المستحقة على الدولة العثمانية (وقدرها ١٣٣ مليون ليرة انكليزية ذهبية) .

ـ بناء أسطول لحماية الامبراطورية العثمانية (يتكلف ١٢٠ مليون فرنك فرنسي) .

ـ تقديم قرض من دون فائدة (قدره ٣٥ مليون ليرة ذهبية) لإنعاش مالية الدولة ومواردها ، وذلك مقابل السماح لليهود بدخول فلسطين للزيارة في أي يوم من أيام السنة ، والسماح ببناء مستعمرة لهم قرب القدس الشريف ـ وقد رفض الخليفة ـ المفترى على تاريخه ـ ، وقيل إنه بصق في وجه زعيمهم .

أرض بلا شعب إلى شعب بلا أرض (إسرائيل زانغويل) :

وكانت المحاولة الثانية في البحث عن الشرعية الدولية والحماية الاستعمارية . . . عن طريق بريطانيا العظمى ، واستطاع اليهود خلال الحرب العالمية الأولى والثانية أن ينجحوا في المشاركة في هذه الحرب بما استمال بريطانيا العظمى إليهم ، ثم كانت صلات هرتزل ، ووايزمان من بعده استثماراً لهذه المشاركة واستفادة منها .

وفي الوقت الذي كانت بريطانيا «العظمى» قد أعطت العهد للشريف حسين بمنح الاستقلال للدول العربية ، والسماح بقيام خلافة «عربية إسلامية» يقوم عليها أحد الأصلاء من مكة أو المدينة ـ في الوقت نفسه ـ كانت الاتصالات باليهود قائمة ، وكان التعاطف معهم أشد ، وتم عقد اتفاقيتين سياسيتين في مارس سنة ١٩١٦ بين روسيا وانكلترا وفرنسا ، وفي مايو سنة ١٩١٦م بين الدولتين الأخيرتين (والتي عُرفت بمعاهدة سايكس بيكو) وتقرر وضع إقليم فلسطين تحت حكم دولي يتمتع اليهود في ظله «بالمساواة السياسية والدينية والمدنية» .

ولم يعرف الشريف حسين الذي وثق في شرف بريطانيا «العظمى» بأمر هذه الاتفاقات إلا بعد ستة أشهر وبعد قيام الثورة البلشفية في روسيا . . . حيث أعلن عن هذه الاتفاقات .

وفي ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧م أصدر اللورد «بلفور» وزير خارجية بريطانيا «العظمى» التصريح التالي :

«إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي ، وسنبذل جهدنا لتسهيل تحقيق هذه الغاية ، على أن يفهم جلياً أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يضير بالحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين ، ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى» .

وهكذا أعطى «من لا يملك» إلى «من لا يستحق» ، وحماية يتم التصريح بها ، وأول خطوة على طريق الشرعية الزائفة ـ ومع ذلك اعتبرها الصهيونيون تصديقاً بريطانياً رسمياً على إنشاء دولة يهودية في فلسطين ، وذلك عن طريق الهجرة الجماعية وابتياع الأراضي ، ووافقت على التصريح فرنسا وإيطاليا في فبراير سنة ١٩١٨م ، وأميركا في أكتوبر سنة ١٩١٨م .

وكانت تتمة المؤامرة البريطانية ـ الغربية ـ إعلان الانتداب على فلسطين بعد ضمها مع شرق الأردن والعراق إلى بريطانيا ؛ واكتشف الشريف حسين ومن وراءه من العرب أن فلسطين قد سُلِّمت لليهود ، وأن العرب جرى اقتسامهم بين الدول الحليفة .

وكانت المحاولة الثالثة والأخيرة إعلان دولة إسرائيل في ١٥ مايو ١٩٤٨م في ظل حماية دولية انكليزية أميركية فرنسية روسية .

وسبقتها خطوة خطيرة على طريق الشرعية الدولية تمثلت في قرار التقسيم الذي أصدرته الأمم المتحدة في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧م قبل الإعلان بأشهر ستة .

هذا ما يراه بعضهم . . . ونحن معهم أن هذا التسلسل كان السبيل لتنفيذ المخطط عملياً .

تاريخ أقدم

لكننا مع بعضهم الآخر . . . الذي يرجع الأمر إلى ما قبل هرتزل بقرنين أو يزيد ، حين دعا الحاخام ليفا (١٥٢٠م ـ ١٦٠٩م) من براغ ـ إلى اتخاذ فلسطين وطناً لليهود .

وأعقبه مورس هس (١٨١٢م ـ ١٨٧٥م) الذي بدأ علمانياً ، ثم صبأ إلى الماركسية مرتبطاً مع ماركس ، لكنه أعرض عن الماركسية متجهاً إلى مثالية يهودية مغرقة في حب التهود ، وأصدر كتابه «روما والقدس» سنة ١٨٦٢م بسط فيه أفكاره ، وتحدث عن أن اليهود «مدعوون مصيرياً لتحويل العالم» . .

وبدأت الصهيونية المنظمة ، وظهرت حركة «أحباء صهيون» تحت زعامة ليوبنسكر (١٨٢١م ـ ١٨٩١م) في مطلع الثمانينات .

وفي أواخر الثمانينات والتسعينات جرت صياغة عقيدة الصهيونية على يد مدارس متعددة .

فالصهيونية العملية : ومن أشهر زعمائها دافيد عوردون (١٨٥٦م ـ ١٩٢٢م) . . . وقد جدد حركة «أحباء صهيون» التي تقوم على العمل في أرض إسرائيل وإنشاء المستوطنات والمستعمرات .

والصهيونية السياسية : ويقوم على زعامتها ليوبنسكر في أوروبا الشرقية ، واليهودي الهنغاري تيودور هرتزل (١٨٦٠م ـ ١٩٠٤م) .

ويُقال : إن كليهما في البدء لم يكن مقتنعاً باتخاذ فلسطين وطناً قومياً لليهود . . . وإن هرتزل كان يفضل الأرجنتين وقبرص وشبه

جزيرة سيناء ، لكنه مع المؤتمرات الصهيونية التي انعقدت تغلَّب الاتجاه إلى فلسطين .

وقد يؤكد القول إن هرتزل في البدء لم يكن متجهاً إلى فلسطين لمحادثاته مع الزعماء الانكليز التي تم بناء عليها إيفاد بعثة إلى سيناء سنة ١٩٠٦م لبحث مدى صلاحيتها على الطبيعة ، لكنه من ناحية أخرى . . . إن سيناء ملاصقة لفلسطين ، وهي من ناحية التقديس عندهم لا تقل عن فلسطين ، ففيها كلم الله نبيه موسى ، وفيها كُتبت الألواح ونزلت الوصايا العشر ، ثم هي امتداد طبيعي لدولة إسرائيل الموسعة كما تكشف أطماعهم عنهم بعد ذلك (من الفرات إلى النيل ، ملكك يا إسرائيل) .

أما الصهيونية الثقافية : فقد تزعم جناحها أحدهم عام (١٨٥٦م-١٩٢٧م) .

وقد أعلن أن وجود الأمة اليهودية بخصائصها المتأصلة هو ما يحقق الإنسان الأكثر كمالاً .

ونحن نرى أن مراحل استلاب الوطن الإسلامي في فلسطين جرت على النحو التالي :

١ ـ قبل القرن السادس عشر الميلادي كان الأمر مجرد أمل لم يصرح به .

٢ ـ منذ القرن السادس عشر الميلادي كان مرحلة التفكير والدعوة .

٣ ـ منذ القرن التاسع عشر الميلادي كانت مرحلة التخطيط .

٤ ـ في القرن العشرين كانت مرحلة التنفيذ .

وغني عن الذكر أنه لا حق لليهود ـ تاريخياً ـ في أرض فلسطين . . . فإنها منذ السنة الخامسة عشرة للهجرة أرض إسلامية . . . وهي قبل هذا التاريخ أرض عربية ، وطوال خمسة آلاف سنة فإن عمر اليهود على هذه الأرض الطيبة لم يجاوز (١٤٠) مئة وأربعين سنة على فترتين ، الفترة الأولى بين سنة ١٠٠٠ قبل الميلاد حتى سنة ٩٢٧ قبل الميلاد . . . والفترة الثانية بين سنة ١٤٢ قبل الميلاد حتى سنة ٧٥ قبل الميلاد كذلك .

أما الأسباب التي أدت إلى إنجاح اليهود في استلاب الوطن الإسلامي في فلسطين ، فنحن نجملها في الآتي :

١ ـ تخطيط اليهود وصبرهم على إنجاحه

وقد بدأ التخطيط من مفكريهم كما أشرنا ، ثم انتهى إلى إقرار خطة في مؤتمر بال سنة ١٨٩٧ ترمي إلى تنمية الهجرة وشراء الأرض من ناحية ، والبحث عن الحماية الدولية من دولة عظمى تظلها الشرعية الدولية الزائفة من ناحية أخرى . . . ويُقال : إن البروتوكولات وضعت في المؤتمر الصهيوني الأول .

وكلا الخطتين يدلان على معرفة بأغوار النفس الإنسانية ، وإدراك الجو الدولي الموجود ، واستغلال لأحداثه .

وصبرهم على تنفيذ ذلك التخطيط رغم الأحداث الجسيمة التي واجهتهم من بعده ، كالاضطهاد الذي حدث لهم في شرق أوروبا ، ثم الاضطهاد الذي حدث لهم في ألمانيا على يد هتلر ، ثم العقبات التي قامت في طريق إقامتهم دولتهم من مقاومة الشعب الفلسطيني وانضمام الشعوب العربية الإسلامية إلى هذه المقاومة ، ومن قبلها رفض

الخلافة العثمانية لوجودهم ، وتآمرهم على هذه الخلافة بما صرح به هرتزل في مذكراته من أن السلطان عبدالحميد رفض الملايين الكثيرة لقاء المحافظة على فلسطين ، فقبل حزب الاتحاد والترقي مليونين لتنفيذ الغرض نفسه .

كل ذلك وغيره يكشف عن حسن تخطيط . . . وصبر في التنفيذ ، وفي مقابل ذلك ـ ونقررها بكل أسف ـ انتفى التخطيط لدى الأمة الإسلامية ، أو بالأصح لدى «اليقظى» من أبناء الأمة الإسلامية ، وتوافر عندهم إخلاص بغير تخطيط شابه في كثير من الأحيان «قلة الصبر» على التنفيذ ، واستجابة لغير المخلصين لإنهاء أوضاع تقلق اليهود .

٢ ـ إبعاد الإسلام عن المعركة .

واضح أن الإسلام كان الخطر الأول في المعركة

أولاً : بما يحمل لأبنائه من عقيدة تؤثر الموت في سبيل الله على الحياة في ظل عبودية تفرضها أذل أمة على وجه الأرض ، وبما يحمله كذلك من دعوة إلى الجهاد واعتباره فرض عين إذا غزيت ديار الإسلام . . . هذه العقيدة من غير سلاح كفيلة ـ بإذن الله ـ بتحقيق النصر .

فإذا أضفنا إليها أمر الإسلام : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) الأنفال :٦٠ .

وأحسنا فهم الأمر الرباني لوجدنا أن الإسلام يأمر :

أ ـ بالتخطيط القوي . . . وهو ما يحمله لفظ الإعداد ، وما يحمله لفظ القوة .

ب ـ بالإعداد المعنوي .

جـ ـ بالإعداد العسكري . . . حشداً وتدريباً وتسليحاً .

د ـ الإكثار من السلاح الثقيل وهو ما نعنيه (رباط الخيل) بعد «القوة» فهو تخصيص للأهمية والخطر .

ثانياً : ما يحمله دخول الإسلام المعركة من دخول ثقل بشري لا قبل لليهود به . ونعني به الأمة الإسلامية التي تناهز اليوم ألف مليون من البشر .

ثالثاً : ما يحمله دخول الإسلام المعركة من ثقل سياسي واقتصادي لا قبل لليهود بمواجهته . . . فمصالح أصدقاء إسرائيل أكثرها في أمم الإسلام . . . واحتياجات مناصري اليهود الاقتصادية أكثر في قبضة المسلمين .

أما عن مظاهر إقصاء الإسلام عن المعركة وكيفيته :

فقد بدا وبدأ . . . بما رتبه اليهود داخل دولة الخلافة نفسها . . . وقام على تنفيذه يهود الدونمة ، ومنهم ومعهم حزب الاتحاد والترقي ، وحزب تركيا الفتاة ، وهو ما عناه الكاتب الروسي سرجس نيلوس في اقتحام الأفعى للأستانة في طريقها إلى فلسطين .

ثم تأكد ذلك بإقصاء السلطان عبدالحميد الذي رفض عرض اليهود ، ثم بالقضاء على الخلافة نفسها التي ما كان يمكن أن تسلِّم بقيام وطن يهودي وسط وطنها .

واستمرت محاولات إقصاء الإسلام عن المعركة حتى وقتنا الحاضر .

إقصاء الشعب الفلسطيني عن المعركة

مذ عرف الانكليز ومن بعدهم اليهود بسالة الشعب الفلسطيني وتضحيته وتصميمه على الدفاع عن وطنه ـ وعرفوا أنه صاجب المصلحة الأول في الدفاع عن التراب الإسلامي في القدس وفلسطين ، ومنذ ظهر منه أمثال الشهيد عبدالقادر الحسيني قائد منطقة القدس ، والشهيد حسن سلامة قائد المنطقة الوسطى ـ قرروا إقصاءه عن المعركة .

وكانت قمة التخطيط والتنفيذ إدخال سبعة جيوش عربية إلى فلسطين لتخوض المعركة مع اليهود نيابة عن الشعب الفلسطيني .

وسبقها وعاصرها حرمان الشعب الفلسطيني من التدريب والتسليح ، وتشكيك الجيوش العربية في أمانة الشعب الفلسطيني واتهامه بالعمل لحساب العدو اليهودي .

وكنت أعجب كيف لجيش عربي يقوده انكليزي أن يخوض حرباً لصالح المسلمين وضد اليهود الذين ضمن لهم الانكليز بالوعد والتخطيط والتنفيذ قيام وطن لهم في فلسطين؟

وكنت أعجب لجيش آخر . . . بل جيوش أخرى في بلاد يحتلها الانكليز . . . كيف سمحوا لها بالمرور إلى فلسطين .

حتى أدركت أن المطلوب هو إقصاء الشعب الفلسطيني عن المعركة ، وفعلاً نجحت الخطة وأُقصي الشعب الفلسطيني عن المعركة وسُلمت أراضي فلسطين جزءاً جزءاً . . . من الجيوش العربية الباسلة إلى إسرائيل المزعومة وبعد أن انتهت حرب فلسطينة سنة ١٩٤٨م كان الشعب الفلسطيني قد تم إقصاؤه حرباً من المعركة . وتم بعد ذلك إقصاؤه سياسياً عنها ، وحُوِّلت القضية أمام الأمم المتحدة إلى نزاع بين

دول ذات سيادة . . . عربية وإسرائيلة .

وحين بدت بادرة ظهور العنصر الفلسطيني سنة ١٩٦٧م . . . تم حشد القادرين منهم فيما سمي بجيش التحرير الفلسطيني ليتم التهامهم في أول ضربة لليهود سنة ١٩٦٧م .

الحاضر الأليم في فلسطين

أولا : من الناحية السياسية كما يلى :

أ ـ الدولة شعب وإقليم وسيادة .

الشعب الفلسطيني اليوم . . . موزع بين الأقطار ، ممزق بين المنظمات والأحزاب . . . مما سنزيده تفصيلاً عند الكلام عن الناحية الاجتماعية إن شاء الله .

وإقليم فلسطين اليوم . . . غير موجود على الخريطة السياسية . . . موجود بدلاً منه دولة إسرائيل ، وهي لم تكتف بأراضي فلسطين . . . بل ابتلعت في توسع سنة ١٩٦٧م الجولان من سوريا ، والضفة الغربية من الأردن ، وشبه جزيرة سيناء من مصر ، والأراضي التي ابتلعتها في التوسع الأخير أضعاف ما امتلكت من قبل بغير حق . ولا سيما لشعب فلسطين على أرض فلسطين . . . بل لا سيادة له في مكان آخر .

ب ـ الشرعية للغصب الإسرائيلي تتم باعتراف الحق نفسه .

حرصت إسرائيل منذ قيامها بل من قبل قيامها أن تستر غصبها بشرعية رفضها أصحاب الحق يوم أن قالوا : «إن من لا يملك أعطى من لا يستحق» .

لكنها ـ بكل أسف ـ اليوم في دور اعتراف أصحاب الحق نفسه . . . ومتى تم ذلك كانت الخطورة . . . وقد سبق هذه الخطوة تمهيد على النحو التالي :

١ ـ تمهيد إعلامي : بأن إسرائيل أمر واقع ، وأن لا قبل للعرب بدفعها عن فلسطين .

٢ ـ تمهيد حربي : بإحراز بطولة ـ ولو جزئية ـ في جانب العرب ليبدو قبول «السلام» من موقع القوة فلا يرفضه الشعب العربي باعتباره استسلاماً .

٣ ـ تمهيد اقتصادي . . . بإحداث خنق اقتصادي للشعب العربي في المنطقة ، خصوصاً الجزء منه الذي يتصدر للمعركة . . . حتى يلوح «السلام» إنقاذاً للشعب مما يعانيه .

٤ ـ تمهيد سياسي وذلك بإحاطة إسرائيل بأنظمة تعمل ـ عن قصد أو غير قصد ـ على تحطيم معنويات الشعوب وتحطيم قيمهم وأخلاقهم والتمهيد إعلامياً للاعتراف بالغصب ، بل للتعاون مع الغاصب .

جـ ـ المستقبل السياسي لإسرائيل .

المغفِّلون أو المغفَّلون يعتقدون أن إسرائيل بعد الاعتراف بها والصلح معها سوف تقنع بما هي عليه .

وتاريخ الصهيونية وطبيعتها وأهدافها وكتبها . . . كل ذلك يأبى عليها ذلك . . . وحسبهم أن يقرءوا التلمود وأن يقرءوا البروتوكولات ، بل أن ينظروا إلى ما كتب الكنيسيت نفسه . . . فلم يعد في الأمر عندهم حياء .

وبلغة أصحاب الحق تحدث رئيس إسرائيل في يوم من الأيام عن أنهم أصحاب حق يستردون أرض الأجداد ، وكأن الذين عاشوا عليها أربعة عشر قرناً ليسوا أصحاب حق حين عاشوا تحت راية الإسلام ، وكأنهم قبل الإسلام حين عاشوا قروناً عديدة ليسوا أصحاب حقوق ، وتحدث رئيس إسرائيل عن العبقرية اليهودية وعما يمكن أن تفعله في المنطقة .

ولئن كان حديثه عن الناحية الاقتصادية . . . فإني أقدم عليها الناحية السياسية لأقول : إنه إن ظل الوضع المفتوح فبوسع العبقرية اليهودية أن تفعل ما تشاء في المنطقة ، ولها أن تحرك الدمى بما ترى ، ولها أن تغيَّر الدمى إن ضاقت بها بالضمانات ، فما ضمانات اليوم بأعظم ولا أبقى من وعود الأمس وقراراته . كل ذلك . . . لأن إسرائيل أسقطت من حساباتها حالياً الإسلام وأهله بعدما نزل على رؤوسهم من ضربات تدوخ ، وتكسر ، وتقتل .

لكن عقيدتنا في الله لم تتزعزع وإيماننا بانتصار الإسلام لم يهن ولن يهون : (وإن جندنا لهم الغالبون) الصافات :١٧٣ .

ثانياً : من الناحية الاجتماعية .

أ ـ شعب تمزق .

مزقته الخلافات قديماً وحديثاً ، ومزقه التشريد وحياة الخيام ، ومزَّقه الجوع والعري والمرض .

ب ـ شعب تحلل .

تحلل فكرياً بعد ما مزَّقته تيارات كثيرة . . . علمانية ، شيوعية ،

وجوديوة يهودية ، وتحلل خلقياً بعد ما مزَّقه التشريد والحاجة ، وسرى فيه الاختلاط والانحلال ، وتحلل أسرياً بعد ما تمزَّقت الأسرة الواحدة بين بلاد وأقطار . . . ولم يعد فيها من ينصت إلا لنداء البطن . . . وما حوى .

كل ذلك إلا من رحم ربي .

جـ ـ شعب يهود .

«إن أمام العرب في إسرائيل ثلاثة خيارات» :

أ ـ اعتناق الدين اليهودي .

ب ـ الطرد خارج البلاد .

جـ ـ الإبادة التامة . «ابن جوريون» .

* «سنصل إلى وقت نعرف فيه كيف نمنع من لا يضع القلنسوة اليهودية فوق رأسه أن يعيش بيننا» (جولدا مائير) .

* «إن فرعون أخطأ ولم يصب الغرض حيث سلك ببني إسرائيل مسلك الإرهاب والتنكيل فانتصروا عليه ، وسجل التاريخ عليه لعنات ما اقترفه ، ولكنه لو أنشأ مدارس وجامعات يغير فيها أفكارهم ، ويقتلهم قتلاً معنوياً ، ويجعلهم ينحرفون عن هدفهم الأصيل ، فيعيشون عالة على غيرهم بلا هدف يتفانون في تحصيله ، ولو فعل ذلك لأراح واستراح ، ولسجل التاريخ مفخرة خدمة العلم بدلاً من لعنات البطش والإرهاب» (الفيلسوف الهندي أكبر إله أبادي) .

ولتحقيق هذه الغاية تمضي برامج الإعلام ، ومناهج التعليم والسياسة الاقتصادية نحو تنمية الحاجة لدى العرب القاطنين داخل إسرائيل .

ولهذه الغاية تمضي سياسة «التهجير» و«الاستيطان» ونزع ملكية العرب المقيمين في فلسطين .

مستقبل فلسطين

الحديث عن المستقبل الفلسطيني حديث شائك ، إذ لا يعلم الغيب إلا الله . . لكن الله سبحانه . . . أجاز لنا «الإعداد» ذلك قوله : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل) الأنفال :٦٠ ، والإعداد يقتضي «التوقع» بالنسبة للمستقبل والعمل على أساس ذلك التوقع .

والله سبحانه وتعالى جعل لنا كذلك «سننا كونية» تعيننا على ذلك التوقع منها : (إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) الرعد :١١ . ومنها (وتلك الأيام نداولها بين الناس) آل عمران :١٤٠ ، ومنها : (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) سورة محمد :٧ ، فمن خلال هذا وذاك ، نستطيع بعون الله ـ دون رجم بالغيب ـ أن نرسم صورة المستقبل من خلال الأحداث ، ثم نحاول رسمها من خلال الإيمان .

١ ـ المستقبل من خلال الأحداث .

من خلال الأحداث يستطيع المجتهد أن يستنبط ما يلي :

أ ـ لا مستقبل لفلسطين .

ذاك منطق الأحداث وتوقعاتها . . . إن الصهيونية وضعت أقدامها ، وأنّى لها أن تتزحزح .

وأنها في كل جولة تكسب الجديد ، فتنقلب مطالبة العرب بالجديد وتنسى القديم .

وهو ما نراه من مطالبة العرب بالجلاء عن الأراضي التي احتلت سنة ١٩٦٧م . . . وكأن الاحتلال الذي تم قبل سنة ١٩٦٧م قد صار أمراً شرعياً وحقاً مقرراً لليهود . . . وفي الجولة المقبلة ـ إن بقيت الأوضاع على ما هي عليه ـ تكون أراضي ١٩٦٧م أمراً شرعياً وحقاً مقرراً لليهود ، وتكون المطالبة بالأراضي التي ستحتل بعد ذلك .

والمجتمع الدولي ـ بتأثير الصهيونية والصليبية العالمية ـ يضفي الشرعية ويحرسها في كل توسع صهيوني .

فالمجتمع الدولي ـ بالتأثير السابق ـ هو الذي قسم أرض فلسطين سنة ١٩٤٧م بين اليهود والعرب . . . وكانت من قبل خالصة للعرب وحدهم ، ولم يكن لليهود فيها أدنى نصيب . . . والمجتمع الدولي هو الذي عاد بعد ذلك يصدر القرار ٢٤٢ والقرار المعدل له ليعترف بفلسطين كلها لليهود وليطالبهم فقط بالجلاء عن الأراضي العربية الأخرى التي احتلتها إسرائيل علاوة على فلسطينة سنة ١٩٦٧م .

وغداً تحتل إسرائيل أراض أخرى فيكون قرار المجتمع الدولي الاعتراف بالأراضي القديمة والمطالبة بالجلاء عن الجديدة .

ومثل أخير . . . إن القدس المسلمة قبلة المسلمين الأولى وثالث الحرمين فيها . . . إن إسرائيل تعلن أنها عاصمتها وأنها لا تتنازل عنها ، وتعلن أميركا تأييدها لها في ذلك . . . وهكذا

ب ـ المستقبل للصهيونية .

المستقبل للصهيونية إن بقيت الأوضاع على ما هي عليه ، فالسنن الكونية تعمل في جانب من يعمل ، ولا تعمل في جانب من يتقاعد أو يتكاسل ، أو يتجابن .

وواضح أن الصهيونية تعمل . . . مخططة . . . ثم منفذة .

وأن العرب والمسلمين . . . يتصايحون . . . ويكتفون بالصياح . . . ويتشاتمون فيما بينهم ، ويتقاتلون كذلك فيما بينهم ، أشداء على المؤمنين رحماء باليهود ، أعزة على المؤمنين أذلة على الكافرين ! .

والصهيونية . . . كما يبين من مخططاتها . . . لا تكتفي بفلسطين .

إنها تحلم بالدولة الكبرى من الفرات إلى النيل .

وتحلم من بعدها بسيادة العالم كله .

وخطواتها التنفيذية تؤكد أنها تنفذ ماتحلم به وما تخطط له . . . ونجاحها فيما بقي .

وبناء على ما سبق فأرض الكنانة في مصر مهددة ، ومسجد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في المدينة مهدد كذلك . . . هذا كله . . . له شرطان : أن تبقى أوضاعنا على ما هي عليه ، وأن تبقى السنن الكونية تحدث تأثيرها . . . لكن حتى يكون . . . تقويمنا صحيحاً لابد من النظرة الأخرى . . . فلها نعيش .

٢ ـ المستقبل من خلال الإيمان .

النظرة الإيمانية تختلف كثيراً عن النظرة من خلال الأحداث وحدها ، وهي في اختلافها تقوم على أسس مغايرة ، منها :

١ ـ أن الله سبحانه خالق السنن الكونية قادر على أن يعطلها أو يغيرها ، فمن السنن الكونية أن النار تحرق ، لكن إرادة الله ـ حين شاء ـ جعلت النار برداً وسلاماً على إبراهيم .

ومن السنن الكونية أن الماء يُغرق ، لكن إرادة الله حين شاءت ، فرقت البحر فرقين : (فكان كل فرق كالطود العظيم) سورة الشعراء :٦٣ .

٢ ـ أنه إلى جوار السنة الكونية أن الله لا يغيِّر ما بقوم حتى يغيِّروا ما بأنفسهم ، فإن مفهوم المخالفة أنهم إن غيَّروا ما بأنفسهم غيَّر الله ما بهم مؤكداً قوله : (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) سورة محمد :٧ .

ومن هذا المنطلق .

ومن هنا يبدأ العلاج . . . إن كنا نريد عودة فلسطين .

لابد من التغيير . . . من القمة إلى القاعدة ، من الرأس إلى القدم .

لابد من تغيير كلي . . . لما بأنفسنا حتى يغيِّر الله ما بنا .

لابد أن يكون التغيير على أساس الإسلام .

لأن التغيير من غير إسلام لا يكون معه نصر الله ، ولا يكون هو التغيير الذي عناه الله .

وقد رأينا أنهم حين أرادوا سلب فلسطين أبعدوا الإسلام عن المعركة .

وعلى ذلك فإذا كانت فلسطين قد استلبت لما أُبعد الإسلام عن المعركة ، فإنها لن تعود إلا إذا عاد الإسلام إلى أرض المعركة .

الإسلام فوق ما قدمنا يقدم :

ـ ثقلاً عقيدياً يغيّر الكيفية التي تُدار بها المعركة ويغيّر نتيجتها .

ـ ثقلاً بشرياً . . . ولهذا أثره في استراتيجية الحروب .

ـ ثقلاً سياسياً . . . بوقوف الدول الإسلامية كلها ـ بدلاً من الدول العربية المحدودة ـ خلف المعركة .

ـ ثقلاً اقتصادياً . . . بوقوف موارد الدول الإسلامية ـ وهي اليوم أغنى دول العالم ـ خلف المعركة .

ومن قبل ذلك . . . ومن بعد ذلك . . . ما أشرنا إليه من نصر الله الذي لا يتنزل إلا على نوعية معينة .

(بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) آل عمران :١٢٥ .

(وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم) آل عمران :١٢٦ .

(*) هذا المقال نشر في مجلة الوعي الإسلامي ـ العدد ١٩٥ ـ ربيع الأول ١٤٠١هـ ـ يناير ١٩٨١م

بيت المقدس

في الشعر الحديث(*)

إن المعركة حين حميت بين العرب وإسرائيل ، وحين أسفرت إسرائيل عن مطامعها التوسعية ، لم يشغل الشعراء الحديث عن مدينة بيت المقدس بقدر حديثهم عن ضرورة التشبث بالبقاء داخل الأراضي الفلسطينية الكبيرة ، فالمشكلة لم تعد مشكلة مدينة ، وإنما أصبحت مشكلة وطن مضاع ، ودم مطلول ، ووجود مهدر ، ومن هنا كانت دعوتهم الحارة والعميقة إلى ضرورة البقاء في الأرض حتى ولو كانت محتلة ، إلى ضرورة التشبث بالتراب حتى ولو كان يتلون دائماً بالدم ، وبالغيظ ، وبالكمد ، وما أعمق هنا صوت **نازك الملائكة** وهي تقول :

يا رمح إسرائيل مهما ارتوى

من جنحه ، من روحه ، من مناه

يبقى ثرانا عربي الشذى

والضوى . . . يبقى عربي المياه

وفي ضوء هذا سمعنا «**فتحي قاسم**» يقول في قصيدة عنوانها : «هنا جذري

سأبقى رغم إذلالي»

وجرحي والأسى الممقوت

هنا في حضن أجدادي

وأرضى والسنا الموروث

سأبقى رغم إذلالي ولن أرحل

هنا جذري ، وتاريخي ، وقصة حبي الأول

هنا وطني

ولن أرحل

ويقول محمود درويش :

آه يا جرحى المكابر

وطني ليس حقيبة

وأنا لست مسافر

إنني العاشق والأرض الحبيبة

وسميح القاسم يعيب على صديق له أنه يعيش بلا جذور بعيداً عن الأرض فيقول له :

رسالتك التي اجتازت إليَّ الليل والأسلاك

رسالتك التي حطت على بابي جناح ملاك

أتعلم؟ حين فضتها يداي تنفضت أشواك

على وجهي وفي قلبي

أخي الغالي

إليك هناك في بيروت

إليك هناك حيث تموت

كزنبقة بلا جذر

كنهر ضيع المنبع

كأغنية بلا مطلع

كعاصفة بلا عمر

إليك هناك حيث تموت

كالشمس الخريفية

بأكفان حريرية

وتؤكد **فدوى طوقان** ظاهرة التشبث بالأرض الفلسطينية بصفة عامة في قصيدة لها بعنوان «أغنيات صغيرة إلى الفدائيين» فتقول :

كفاني أموت عليها وأدفن فيها

وتحت ثراها أذوب وأفنى

وأبعث عشباً على أرضها

وأبعث زهرة

تعبث بها كف طفل نمته بلادي

كفاني أظل بحضن بلادي

تراباً ، وعشباً ، وزهرة . . .

ويحدد القضية أكثر الشاعر **توفيق زياد** في قصيدة عنوانها : «من وراء القضبان» حيث يقول :

هنا على صدوركم باقون كالجدار

نجوع ، نعرى ، نتحدى

ننشد الأشعار

ونملأ السجون كبرياء

ونصنع الأطفال جيلاً ثائراً وراء جيل

إذا عطشنا نعصر الصخرا

ونأكل التراب إن جعنا ولانرحل

يا جذرنا الحر تشبث

واضربي في القاع يا أصول . . .

من كل هذا نرى أن الشعراء ـ وبخاصة الشعراء داخل الأرض المحتلة ـ قد رأوا المصيبة تعم ، ورأوا أن الخطر لا يتربص بمدينة (بيت المقدس) فقط ، وإنما يتربص بالتراب العربي . . . بالتراث العربي ، بالوجود العربي ، ومن هنا نراهم يدورون بأجفانهم المليئة بالدموع والإشفاق على الكثير من المدن العربية وعلى الكثير من المناطق العربية .

ومن الملاحظ أنه بعد حرب ٥ يونيو ١٩٦٧م وبعد أن أفاق الشعراء من الصدمة رأيناهم يقفون وقفة خاصة عند سقوط هذه المدينة ، ورأينا هذه الوقفة منسوجة نسجاً محكماً من المشاعر الدينية .

والشاعر **هارون هاشم رشيد** يرسم لها صورة ملونة بالإسلام في قصيدة كبيرة بعنوان القدس ، يقول في افتتاحيتها :

القدس . . . القدس

ومآذن تهتف بالناس

الله أكبر . . الله أكبر

وحي على الصلاة . . وحي على الفلاح

الله أكبر . . الله أكبر .

القدس وفي الناس المسرة

القدس وحي على الصلاة

ومن الشعراء الذين نظروا إلى القدس في ضوء إسلامي خالص **علي أحمد باكثير** في ملحمته الطويلة : «إما نكون أبداً أو لا نكون أبداً» فإلى جانب أن الروح لهذه الملحمة هي إيقاظ الهمم والدعوة إلى الارتفاع عن الحزن نراه يقول :

المسجد الثالث قد ذل وهان

أسلمه إلى اليهود الأمريكان

عداوة منهم لدين المسلمين

ولكتاب المسلمين

ولانبعاث المسلمين

وحلقة جديدة من ذلك الزحف الصليبي اللعين

ومن العالم الديني ، وأجوائه الشعرية بل من قاموسه نجد **محمود حسن إسماعيل** يقول :

سمعت بها غضب الأنبياء

مزامير ويل عتى صداه

وأبصرت ألواحهم في الفضاء

محاريب تصرخ فيها الصلاة

وتسبيحهم من ضفاف السماء

يصب على الأرض سخط الإله

ويرمي عليها دخان الشقاء

أعاصير حقد تَؤُزُّ الحياة

ونجد **علي هاشم رشيد** يقول :

وطار بي الشوق لأرض السلام

ومهبط الوحي ومهد الكماة

نزلت بالقدس وسرب الحمام

يبث للأزهار نجوى هواه

جبالها الشم بوجه الخطوب

قد خضبتها سائلات الدماء

ما هب فيها شمال أو جنوب

إلا وكان الهدى ذاك الحداء

ونجد هذا الاتجاه الإسلامي النقي عند الشعراء منهم : **علي الجندي ، ومحمود غنيم ، وعامر بحيري ، وعبدالله شمس الدين ، وقاسم مظهر ، وروحية القليني ، وشريفة فتحي ، وعلية الجعار .**

. . . وبالرغم مما قيل في هذه المدينة الحزينة ، فإن كل شعر قيل كان دون المأساة ، وكان دون نكبة العرب والمسلمين بهذه المدينة المقدسة أو بمدينة الصلاة ، كما يحلو للبعض أن يسميها .

فإذا عرفنا أن كل يهودي كان لا يمل من القولة المأثورة عندهم والتي تقول : «إذا نسيتك يا أورشليم فلتخذلني ، وليشل لساني في فمي إذا لم أذكرك» فلا أقل من أن يقول كل مسلم في كل يوم : « . . . يا بيت المقدس إذا نسيتك فلتخذلني يميني وليشل لساني في فمي إذا لم أذكرك» .

فنحن معنا الحق . والله ولي الحق .

(*) هذا المقال نشر في مجلة الوعي الإسلامي العدد : ٧٩ ، ص٩٨ ، رجب ١٣٩١هـ .

مع محراب الأقصى

يوم الثأر(*)

للشيخ : معوض عوض إبراهيم

جـراحـك يا أقـصى تـقـرح أجـفـانـي

وحـاضـرك العـانـى يضـاعـف أشـجـانـى

وإن آس فـالأحـداث تـفـعـل فـعـلهـا

بكل شـفـيف الحـسِّ والـنفس إنسـانـي

وأعـلـم أن الـدمـع مـا رَدَّ فـائـتـاً

وإن فاض كالأنهار . . . كـالعندم القاني(١)

ومـا تـكسـر الأصـفـاد عنـك مـقـالـة

ولـن يـحـطـم الأغـلال شـعـر بـأوزان

ولا جـهـد مـذياع ، ولا شـدو كـوكـب

يـرنـح أعـطـافـاً ، ولا فـن فـنـان

فـديـتك مـا يجـدي ويغـسـل عـارنـا

سـوى الـثـأر مـن عـادٍ يـدل بـأعـوان

ويـبـغـي ـ بـحـلـم الـلـه ـ والـلـه قـاطـع

وتـين الـذي يـبـغـي ، ويمـلـي إلـى آن

وهـذي قـبـور الـظـالـمـين ودورهـم

هـواتـف فـي آذان عـالـمـنـا الـفـانـي

فـمـن يـؤثـر الحـق الـصـراح يـعـش بـه

عـزيـزاً ، ويـشـقـى من يـتـيـه بـسـلـطـان

فـلا تـرضـوا الـضـيـم المـذل بـنـي أبـي

وذودوا عـن الأقـصـى ، عـن الـوطـن الحـانـي

عـن العـرض فـيـه يـسـتـبـاح ، عـن الـهـدى

تـغـاديـه فـي المحـراب أسـراب نـسـوان(٢)

عـراة ، يـعـانـقـن الـصـعـاليك جـهـرة

وفـي الـصـخـرة الشـمـاء في غـيـر خـذلان

*****

وتـنـهـال مـن مـعـراج طـه دروسـه

فـتـذهـب أشـجـانـي ، ويـبـرأ وجـدانـي

ويـهـتـف بـي الإيمـان بـالـلـه أنـنـا

سـنـبـطـش بـالأعـداء فـي كـل مـيـدان

إذا «الـهـوك» و«المـيـراج» شـدا وثـاقـهـم

فـإنـا نـنـحـيـهـا إلـى المنـزل الـثـانـي(٣)

ونـزأر قـبـل الـسـيـف بـالـلـه وحـده

كـمـن زأروا فـي يـوم بـدر بـإيمـان

وفـي يـوم حـطـين تـفـرس جـنـده

بليل ، صلاح الدين ، في غير إعلان

فـأبصـر قـومـاً في الـوضـوء ، ومـعـشـراً

يـصـلـي ، ورهـطـاً يـجـهـرون بـقـرآن

فـقـال : أوتينا النصر بالطهر والتقى

على طغمة هاجوا حمانا بصلبان

وكـان نـهـار نـضَّـر الـلـه وجـهـه

وددت لو استفتاه قومي وإخواني

ومن لاذ في الهيجاء بالله ربه

يصب نحر صهيون وأحلاف «دايان»

****

يسائلنا الإسلام : أين عشيرتي

ملايين قد أحصوا ، وأين ذوو الشان؟

وأين بناتي من مثال نسيبة

وخولة ، واللائي سبقن بإحسان؟

وأين من الشبان أشباه رافع

وحب رسول الله . . . يا ويح شباني(٤)؟ !

أجاوز أبطال الفداء فلا أرى

سوى معشر في الشر خروا لأذقان

ليوث الوغى في حلق صهيون غصة

ومن خلفهم ذؤبان في سمت إنسان

يقولون في الأبطال ما لا تقوله

أبالسة الدنيا ، وأفراخ «إيبان»

بأيدي الفدائيين تخفق رايتي

على كل شبر في بلادي وأوطاني

***

أجل : نحن نعطي للفداء ودادنا

ونجهر في تأييد أسلوبه الباني

ونرقب يوم الثأر ما في صفوفنا

جبان ، ولا عين لأعدائه ، وانى

الهوامش :

١ ـ العندم : دم الغزال .

٢ ـ تأتيه في الغداة .

٣ ـ سكاي هوك والميراج : أنواع طيران العدو .

٤ ـ حب رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد بن حارثة ـ رضي الله عنه .

(*) العدد ٤٣ ، ص ٦٠ ، رجب ١٣٨٨هـ .

سبحان من أسرى(*)

للأستاذ محمود جبر

خـليـليَّ : هـذا الفـجـر مَـعـبـدُ زاهـد

تـبـتـل حـتـى شـف روحـاً وأعـظُـمـا

نـسـائـمـه الألحـان تـسـرى فـلا تـرى

مـن الـكـون إلا فـرحـة أو تـبـسُّـمـا

وزُهـاده قـوم عـلـى الـذكـر عـكـف

تـرى شـيـخـهـم لـو سـيء حـيـا وسـلـمـا

كـرام إذا الـدنـيـا أنـاخـت بـكـلـكـل

وكـل فـتـى فـيـهـم إذا ريـع أقـدمـا

***

خـليـليَّ : هـل يـدعـو إلـى الـسـلـم ظـالـم

إذا لـم يـكـن يـرجـو مـن الـسـلـم مـغـنـمـا

إذا مـلـك الـبـاغـي فـلا الـعـدل قـائـم

ولا أنـت تـرجـو فـي حـمـاه الـتـقـدُّمـا

ولـن تـصـلـح الـدنـيـا إذا بـات أمـرهـا

عـلـى عـاتـق الأشـرار نـهـبـاً مـقـسَّـمـا

***

لقـد زرت أرض القـدس قـبَّلت تربـهـا

وحـيـيـت طـه ، والمـسـيـح ، ومـريـمـا

وعـزيـت مـوسـى فـي ضـراوات أمـة

أرتـه ، وهـارون ، الـعـداء كـلـيـهـمـا

أرى المسـجـد الأقـصـى وقـد بات حـولـه

من الـهـول هول ينطـق اليـوم أبـكـمـا

أأتـبـاع خـيـر الخـلـق مـاذا أصـابـنـا

لـنـتـرك أرض القـدس للـبـغي مغنمـا؟ !

أأتـبـاع «طـه ، والمـسـيـح ، ومـريم»

أنـتـرك لـلـصـهـيـون قـدسـاً مـحـرَّمـا؟ !

و«سـبـحـان من أسـرى» نسيتم نزولـهـا ! !

نـسـيـتـم حـبـيـبـاً فـيـه صلى وسلـمـا؟ !

****

نـسـيـتـم رسـول الـلـه والـرسل حـولـه

يـحـيـون من أضـحـى الإمـام المكـرَّمـا

بـنـي الـعـرب : دين الـعـرب بذلٌ وعـزة

وكـل ذلـيـل لا أسـمـيـه مـسـلـمـا

وإنـا سـنـبـنـي مـجـدنـا رغـم أنـفـهـم

ألـسـنـا بـنـاة المجـد عـهـداً تـقـدمـا ! !

تـؤجج مـا قـد أوقـدوا مـن سـعـيـرهـا

سـنـدخـلـهـم قـبـل الأوان جـهـنـمـا

***

تـراكـم نـسـيـتـم مـا قـضـى الـلـه فـيـهـم

تـراكـم نـسـيـتـم آيـة الـلـه . . . «كـلـمـا»(١)

ألا إنـهـم قـد حـان مـيـعـاد حـيـنـهـم

«بـعـثـنـا عـلـيـكـم» واسـألـوا الـذكـر مـحـكـمـا

«عـبـاداً لـنـا» كـيـمـا يـسـؤوا وجـوهـكـم

فـذوقـوا من اليـحـمـوم مُـهـلاً وعـلـقـمـا

***

فـلـسـطـين إنـا الـيـوم نـعـطـيـك عـهـدنـا

بـأنـك لـن تـلـقـي من الـعـرب مـحـجـمـا

وإنـا سـألـنـا الـلـه تـطـهـيـر قـدسـه

وإنـا سـنـفـدي الـقـدس بـالـروح والـدمـا

فـطـب يـا رسـول الـلـه نـفـسـاً فـإنـنـا

سـنـرجـع أرض الـقـدس وعـداً مـحـتـمـا

---

(١) (كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله) المائدة :٦٤ .

(*) العدد ١٣٩ ، ص٤٦ ، رجب ١٣٩٦/ يوليو ١٩٧٦م .

قالوا عن القدس والأقصى (*)

«إلهي قد انقطعت أسبابي الأرضية في نصرة دينك ، ولم يبق إلا الإخلاد إليك ، والاعتصام بحبلك ، والاعتماد على فضلك ، أنت حسبي ونعم الوكيل» .

صلاح الدين الأيوبي

«إن قضية فلسطين لن تموت لأنها عقيدة في قلب كل مسلم ، فهل سمعتم أو قرأتم عن عقيدة يحملها في قلبه ألف مليون يمكن أن تموت؟ إن الناس يموتون في سبيل العقيدة ، وما ماتت عقيدة من أجل حياة إنسان» .

الشيخ علي الطنطاوي

«من الجنون أن نحسب قضية فلسطين نزاعاً بين العرب واليهود الذين يطلبون الإقامة بعد طرد أهلها ، القضية أساساً هل بقي للعرب ما يقدمونه في هذه الدنيا؟ ! أبقيت لهم رسالة يستحقون العيش لها؟ !

الشيخ محمد الغزالي

«إنني أرحب بكل عمل يخدم قضية القدس والمسجد الأقصى ويوجه أمة الإسلام إلى خطورة ما يعد لها ، وإيقاظ الأمة لأداء واجبها لإنقاذ القدس الشريف والأقصى المبارك» .

الشيخ يوسف القرضاوي

«لقد آن الأوان لتجميع الأمة من شرق العالم وغربه ، من شمال العالم إلى جنوبه بغض النظر عن الجنسيات واللغات والثقافات ـ على الحمية الدينية لنصرة المسجد الأقصى الأسير» .

الشيخ أبو الحسن الندوي

«إن ما تحتاجه القدس اليوم ، هو موقف موحد واضح وحاسم للحفاظ على المقدسات ، ترتاح إليه قلوب دعاة السلام في كل مكان ، موقف يعلن أن القدس عربية إسلامية محتلة ، وأن الأمة الإسلامية والعربية مسؤولة عن تحريرها ، وأن تحريرها واجب مقدس لا يجوز التفريط فيه أو التخاذل عنه ، وأنه لا سلام إلا بعودة فلسطين بمقدساتها إلى أمتها العربية الإسلامية ، ما تحتاجه القدس هو إعداد الأمة روحياً وعلمياً وحضارياً ، وعلينا تفعيل القرارات الدولية ، وإبطال كل الإجراءات التعسفية ، والالتزام الجاد بتدعيم صمود الأهل في فلسطين وفي القدس ، وتدعيم وتكثيف الجهود الدولية والحكومية والشعبية للمحافظة على الهوية الإسلامية ، وجميع الشواهد الحضارية للتراث العربي الإسلامي في فلسطين المحتلة وفي القدس» .

يوسف جاسم الحجي ـ رئيس الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية

«القدس وفلسطين أرض الإسراء والمعراج ـ الأرض التي بذل فيها المسلمون دماءهم وتضحياتهم وقدَّموا ملايين الشهداء منذ فجر الإسلام ، هي أرض عزيزة على كل مسلم ، وإن وعد الله محقق بتحرير فلسطين لا محالة» .

عبدالله العلي المطوع ـ رئيس جمعية الإصلاح الاجتماعي

«إننا ننادي سائر المسلمين كلاً من مكانه لأن يدفع الأذى عن إخوانه المرابطين على أرض الإسراء والمعراج ، بل إننا نحاول أن نعمل لإعادة بيت المقدس وأكناف بيت المقدس إلى ضمير الأمة وذاكرتها بعد أن حاول اليهود مسحه من التاريخ ، ولكن أنى لهم هذا؟ !

إن أمة الإسلام لا تموت وإن قضية القدس والمسجد الأقصى كانت

ولا تزال وستبقى ـ إن شاء الله ـ حية خالدة في ذاكرتها ، وفي ضميرها ، وفي كل جوانب حياتها» .

طارق سامي سلطان العيسى

رئيس جمعية إحياء التراث الإسلامي

«بالنسبة لأمة الإسلام ، فإن بيت المقدس هي أكثر من مدينة وأكثر من عاصمة روحية ومعلم تاريخي ، إنها رمز تبرز فيها كل حقائق الإسلام وخصائصه ، وتلتقي عندها أسباب وحدة المسلمين وعزتهم»

الأستاذ كامل الشريف ـ أمين عام المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة

«إن الله سبحانه وتعالى جمع بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى في آية واحدة مما يعني حرمة وأهمية هذين المسجدين في الإسلام ، حيث جعل الله الصلاة في المسجد الأقصى تعادل خمسمئة صلاة ، ومثلما ندافع عن المسجد الحرام ومسجد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ندافع عن المسجد الأقصى سواء بسواء ، وهذه هي مكانة الأقصى في ديننا وعقيدتنا . . . أدعو جميع المسلمين للثبات وعدم التنازل والتفريط في أرض الإسراء» .

الشيخ أحمد القطان

خطيب منبر الدفاع عن المسجد الأقصى

«ليست القدس كغيرها من المدن والبلاد ، إن لها تاريخاً مع رسل الله إلى خلقه ، وأنبيائه إلى بني البشر ، والمسلمون الذين لا يفرقون بين أحد من رسل الله عليهم وحدهم أن يحافظوا على هذه المدينة ؛ لأنهم هم حملة الدين الحق الذي جاءهم من الله ، والذي حافظ الله عليه من

التبديل والتحريف والتغيير ، إن العمل المدفوع بالأمل ، والعمل القائم على أساس إعطاء كل ذي حق حقه من حاكم أو محكوم ، هما سببان عظيمان في نهضة الأمة واستعادة مقدساتها» .

الشيخ د . جاسم مهلهل الياسين

أمين عام اللجان الخيرية ـ جمعية الإصلاح الاجتماعي

«يجب أن تنصبَّ جهود المسلمين في كل أقطار الأرض لقضية القدس باعتبارها أحد أهم مقدسات الإسلام والمسلمين ، فهي أولى القبلتين وثالث المساجد التي تشد إليها الرحال ، وهذه الأرض لا تباع ولا يجوز التصرف فيها ؛ لأنها وقف إسلامي إلى يوم القيامة ، وكما جعل الله المسجد الحرام مثابة للناس وأمناً جعل بيت المقدس مهبطاً للملائكة ، ومبعثاً للأنبياء ، ومعراجاً لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى السموات العلا» .

الشيخ نادر النوري ـ رئيس لجنة فلسطين الخيرية

«إن المؤامرة على المسجد الأقصى المبارك ـ أولى القبلتين وثالث المسجدين اللذين تشد إليهما الرحال بعد المسجد الحرام والمسجد النبوي ومسرى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أصبحت حقيقة واقعة تتسارع خطواتها يوماً بعد يوم ، بل لحظة بعد لحظة ، فماذا ننتظر؟ هل ننتظر حتى يهدم المسجد الأقصى حجراً بعد حجر؟» .

جمعية الإصلاح الاجتماعي

«فداك أبي وأمي يا مسرى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما أعز مكانتك في نفوسنا يأيها المسجد الأسير ، وما أعظم حرمتك ، ما أشد شوقي للصلاة فيك وأنت حر طليق» .

الداعية الحاجة زينب الغزالي

«أقبلوا يا أهلنا بزحف عيونكم ، وتأملوا قدسنا ، تاريخها ، ويومها ، وفجرها المجيد ! ! وأقبلوا بزحف عيونكم إلى الأقصى الوحيد ! ! ورددوا صرخة لا ترهب التهديد : ما دامت القدس في خطر فلن ننام ، ، وما دام الأقصى في خطر فلن ننام وكيف ينام من هو على موعد مع العيد السعيد؟ ! مع الحق التليد ، مع الوعد الأكيد . . .» .

الشيخ رائد صلاح ـ رئيس الحركة الإسلامية داخل الخط الأخضر

«نقول وننادي كل المسلمين في العالم : إن القدس والأقصى في خطر ، اللهم قد بلغنا اللهم فاشهد» .

الشيخ حامد البيتاوي ـ خطيب المسجد الأقصى المبارك ـ رئيس رابطة علماء فلسطين

(*) الوعي الإسلامي ـ العدد ٤١٨ ـ جمادى الآخرة ١٤٢١هـ ـ أغسطس ٢٠٠٠م .

الفهرس

١ تقديم ٣
وكيل الوزارة المساعد للشؤون الثقافية

٢ عروس المدائن ٥
الأستاذ/ عبدالرحمن سعد

٣ ٣١ سنة على حريق المسجد الأقصى ١٦
الأستاذ/ الخضري علي السيد

٤ وثيقة تسليم القدس للخليفة عمر بن الخطاب ٢٢
د .إبراهيم أحمد العدوي

٥ قائمة بأهم الوقائع التي حدث في فلسطين ٣٣
الأستاذ/ مصطفى الدباغ

٦ المسجدان : الأقصى المبارك والصخرة المشرفة ٣٦
الشيخ/ طه الولي

٧ الدفاع عن حق المسلمين في القدس أمام الكونغرس الأميركي ٤٣
د .محمد عبدالرؤوف

٨ فلسطين كيف ضاعت؟ ٦٤
د .علي محمد جريشة

٩ بيت القدس في الشعر الحديث ٨٣

. . . . . .

١٠ مع محراب الأقصى ٩٠
الشيخ معوض عوض إبراهيم

١١ سبحان من أسرى ٩٤
الأستاذ/ محمود جبر

١٢ قالوا عن القدس والأقصى ٩٧
التحرير

شركة مطبعة جرير
تلفون : ٤٧٣٣٨٠٨ - ٤٧١٤٣٨٨